

الجزء التاسع السنة الثانية

الاسكندرية دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠٠ — شعبان سنة ١٣١٨



(١) اسكندر المكدوني صاحب الترجمة . (٢) الفيلسوف اريسطو معلمه
(٣) الملك فيليبوس ابوه . (٤) الخطيب ذيموستينوس مقاوم فيليبوس اباه
(٥) المؤرخ فلوطرخوس . (٦) تمثال جوبيتير الذي كانوا يزعمونه ابا الاسكندر

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

اسكندر الكبير في مصر

وبناؤه الاسكندرية

فرح المصريين بانتصاره على الفرس . قطعه الصحراء لزيارة هيكل عمون . ردّ قولهم عن غرق الناس في رمال الصحراء . تلقيب الكهنة المصريين اسكندر «ابن جوبيتير» والخلاف في ذلك . توزيعه السلطة في مصر . روايتان فكاهيتان عن بناء الاسكندرية واحدة لفلوطرخوس والثانية للمسعودي

وصلنا في الاجزاء السابقة الى استيلاء اسكندر المكدوني على سوريا وفلسطين في شنه الغارة على مملكة الفرس وقصده داريوس ووعدنا بالكلام على قدومه الى مصر وانجازًا للوعد نقول

لما خرجت سوريا وفلسطين من ايدي الفرس فرح المصريون بذلك لان الفرس كانوا قد اساءوا اليهم باضطهادهم وسوء معاملتهم : وبعد استيلاء الاسكندر على سوريا وفلسطين قصد مصرًا فاجمل المصريون استقباله لانه تغلب على عدوهم فدخل اسكندر بلادهم في شهر دسمبر من سنة ٣٣٢ للميلاد المسيحي واغتنم فرصة رضائهم فتحبب ما استطاع اليهم

قال فلوطرخوس : وقد رام اسكندر السفر الى هيكل الاله عمون ليذبح له . ولكن الطريق كانت طويلة شاقة فضلاً عن ان فيها صعوبتين . الاولى قلة الماء في الصحراء وشدة ظمإ المسافرين فيها والثانية هبوب ريح شديدة من جهة الجنوب تثير الرمال وتسفيها على القوافل فربما دفنتها تحتها كما حدث لجيش قمبيز الذي دفنت منه ٥٠ الف رجل . نقول وتعرف هذه الريح اليوم بريح الخماسين . على انها ليست بذات خطر الى الحد الذي رواه فلوطرخوس . فقد قال مؤلف كتاب «بحث في منتقدي تاريخ اسكندر» ان المصريين كانوا يشيعون هذه الاشاعات في ذلك الزمان رغبة في اثناء الفاتحين عن التوغل في بلادهم . وقد اقام هذا المؤلف البرهان على فساد هذه الاشاعات بقوله انه كان لليونان طريق يسلكونها حين قصدهم هيكل عمون لزيارته

الا ان اسكندر كان ممن لا يثنيهم شيء عن عزمهم متى عزموا على امر فشد رحاله وسافر في الصحراء يقصد هيكل الاله . قال بعض المؤرخين اليونان : فاعانه الاله جو بيتر بان ارسل مطرًا غزيرًا برد معه الهواء واعتدل الجو ورصت الارض فاصبح رملها لا يثار بسهولة . وفضلاً عن ذلك فانه لما كانت الحواجز القائمة في الصحراء لهداية المسافرين قد تضعضعت وتهدمت وصارت جنود اسكندر تروح وتجيء على غير هدى فقد بعث اليها الاله المذكور بسرب من الغربان لتهديها سواء السبيل فاذا سارت الجنود طارت الغربان وسارت في مقدمتها واذا وقفت الجنود انحطت الطيور الى الارض . اما في الظلام فان هذه الطيور كانت تنعق نعيقًا شديدًا كلما ضلت الجنود الطريق ..... وقد روى هذه الفكاهة المؤرخ كاليستين

ولما وصل اسكندر الى هيكل الاله عمون دعاه نبي الهيكل بابنه فسال اسكندر الاله هل انه قد انتقم من جميع قتلة ابيه . فاجابه نبي الاله « ماذا تقول ؟ الا تعلم ان اباك لا يموت » ولا يخفى ان في هذا القول اشارة الى ما ذكرناه قبلاً من اعتقاد اليونانيين بان اسكندر هو ابن الاله جو بيتير لا فيليبوس المكدوني . اما اسكندر فلما سمع جواب الاله (وكل ذلك بحسب رواة التقاليد المصرية واليونانية) استدرك وقال على الفور « هل انتقمتُ من جميع قتلة فيليبوس ثم سأل هل تُسلطه الآلهة على جميع الناس فيحكم البشر كلهم » فاجابه كاهن الاله عمون انه قد انتقم من جميع قتلة فيليبوس وان الالهة ستحكمه في رقاب البشر . فاهدى حينئذ اسكندر الى الاله والى كهنة الهيكل هدايا نفيسة زادت في ميلهم اليه

هذا ما رواه مؤرخو اليونان والرومان عن هذه الحادثة التي اختلفت الاقوال فيها لاهميتها . اما اسكندر نفسه فانه قال في كتاب كتبه الى امه ان كاهن الاله المصري اجابه اجوبة سرية لا يستطيع ان يقولها لاحد غير امه ثم وعدها بان يطلعها عليها حين عودته . وروى غيره ان كاهن الاله قد اخطأ في كلامه مع اسكندر فحسب اسكندر انه لقبه « ابنه » . ذلك ان الكاهن خاطبه باليونانية تحببًا اليه فقال له O paidion ومعناها « يابني » ولكنه وضع S في آخر الكلمة بدلاً من N فصارت O pai dios ومعناها « ابن جو بيتير » لان الكاهن المصري كان لا يحسن اليونانية . فعاد اسكندر من هذه الزيارة مبهوتًا مفكرًا . وروى غيره رواية اخرى فقال بل ان اسكندر نفسه كان لا يكره ان يوصل الناس نسبه الى الآلهة على سبيل الاعتزاز والافتخار ليزداد رفعة في

عيونهم ولذلك لم يكذب ما تناقلوه عن الوهيته بل ترك رجاله يشيعون عنه بهذا الشان اشاعات مبهمة غامضة كان يؤولها الشعب و يفسرها على هواه . وقال غيرهم بل انه هو نفسه كان مرتاباً في اصله . وهذه الحقيقة لم تتقرر الى الآن

ولكن قد تقرر ان اسكندر استحسن جداً في حديث جرى له مع الفيلسوف بسامون المصري هذا المبدأ « ان الله ملك على جميع البشر لانه حاكم عليهم . وكل حاكم هو ذو سلطة الهية مقدسة » . على اننا نعرف لاسكندر فلسفة في هذا الموضوع ارقى من هذه الفلسفة وهي « ان الله ابٌ لجميع البشر ولكنه يفضل ابناءه الفضلاء على غير الفضلاء »

اما سبب زيارته لهيكل عمون فقد اختلفت الاقوال فيها ايضاً . فمن قائل انه زار هذه الزيارة استرضاءً للاهالي واستمالةً لهم . ومن قائل ان اسكندر كان يعتقد بالتوحيد الرباني وكان التوحيد معروفاً عند الكهنة المصريين وان كانوا يكتمونه فذهب الى هيكلهم الاعظم لمباحثتهم والوقوف على آرائهم

وقد نال اسكندر بعد هذه الزيارة الدينية حظوى في عيني الشعب فاحبوه وزادحبهم له انه كان في نظرهم فوق البشر لانه من نسل الآلهة . اما عمله في مصر فانه كان مقصوراً على توزيع السلطة فيها لئلا يستأثر بها رجل واحد فتقوى عصبيته و يشتد ساعده عليه . هذا فضلاً عن بنائه مدينة « الاسكندرية » الذي يعدّ في الحقيقة اعظم عمل عمله فيها

﴿ بناء الاسكندرية ﴾

روايتا فلوطرخوس والمسعودي

وكانت مصر في ذلك الزمان معتزة بتمدنها الشرقي وكان يحق لها ان تعتز به لانها كانت صلة بين الشرق والغرب . فبنى فيها الاسكندر المدينة التي سماها باسمه وهي « الاسكندرية » كأنه علم بانها ستزيد مصر عزًّا وفخرًا وترث مدينة صور التي كانت سيدة البحار في تلك الايام

وقد قص كلٌّ من فلوطرخوس والمسعودي تفصيل بناء اسكندر مدينته فنحن نروي هاتين الروايتين من قبيل التفكهة والتسلية لا من قبيل التاريخ . اما رواية فلوطرخوس فهي

لما كان اسكندر في غزة قبل قدومه الى مصر سمع في الحلم شيخاً ينشد امامه بيتين من قصيدة « الاوديسه » جاء فيهما ما ترجمته

« في وسط البحار الواسعة التي تبلل شواطئ مصر
« توجد جزيرة " فاروس " المشهورة منذ الدهر

فانتبه اسكندر من نومه وعزم حينئذٍ على قصد مصر ومشاهدة جزيرة فاروس المذكورة في البيتين . وهذه الجزيرة هي الآن جزيرة الفنار امام الاسكندرية

فلما وصل اسكندر اليها وشاهدها استحسن ان يبني عندها مدينة ويسميها باسمه فاستدعى المهندسين والبنائين وامرهم ان يرسموا المدينة . ولم يكن لدى هولاء طباشير ليرسموا حدود المدينة بها فتناولوا شيئاً من الدقيق واخذوا يذرونه على الارض حتى رسموا به المدينة رسماً بشكل هلال متسع جداً . فاعجب اسكندر بهذا الرسم ولكنه ما لبث ان رأى اسراباً من الطيور الكبرى قد هبطت الى ذلك الدقيق وصارت تاكله . فتطاير اسكندر من ذلك فسكن العرافون خاطره بقولهم ان ذلك رمز الى ان المدينة التي يبنيها ستكون متسعة تغذي كثيرين من السكان على اختلاف اجناس الاسكندريين كما هي الحقيقة الآن

واما رواية الامام ابي الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتابه مروج الذهب فهذا نصها وعسى ان لا يملّ القارئ من مطالعتها . قال

« ذكر جماعة من اهل العلم ان الاسكندر المكدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار ارضاً صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها اثر بنيان وعمداً كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند فنزل الاسكندر ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها اميالاً وحشد اليها العمد والرخام واتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاشجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقيه واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي مصبه بحر اوقيانوس وحمل اليه من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة للاسكندريه على ليلة منها في البحر وهي اول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة في وقتنا هذا (وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة) دار صناعة الروم وبها تُنشأ المراكب الحربية وفيها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسبي

« وامر الاسكندر الفعلة والصناع ان يدوروا بما رسم لهم من اساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالاً منوطة بعضها ببعض واوصل جميع ذلك بعمود من الرخام كان امام مضربه وعلق على العمود جرساً

عظيماً مصوتاً وامر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرساً صغيراً ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة من سائر اقطارها واحب الاسكندر ان يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد. تحقق الاسكندر براسه واخذته سنة في حال ارتقابه الوقت المحمود الماخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولاً بحركات فلسفية وحيل حكمية. فلما راى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فاخبر بذلك فعجب وقال اردت امراً واراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد. اردت طول بقائها واراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها

« وان الاسكندر لما احكم بنيانها واثبت اساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فاتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين اصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل البناء يبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان. فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما راى فاقبل يفكر ما الذي يصنع واي حيلة يوقع في دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما اصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتاً من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض خمس وجعلت فيه جامات من الزجاج قد احاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد امسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية المدافعة للماء حذراً من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للحبال. ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان معه من كتابه ممن لهم علم باتقان التصوير ومبالغة فيه وامر ان تسد عليهم الابواب وان يطلى بما ذكرنا من الاطلية وامر فاتى بمركبين عظيمين فاخرجا الى لجة البحر وعلق على التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلاً اذا كان من شانه لما فيه من الهواء ان يطفو فوق الماء ولا يرسب في سفله. وجعل التابوت الى المركبين وطوّل حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر فاذا هم بشياطين على مثال الناس رؤوسهم على مثال رؤوس السباع وفي ايدي بعضهم الفؤوس وفي ايدي بعض المناشير والمقاطع يحاكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في

ايديهم من آلات البناء . . . .

« فاثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور واحكموها بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها وتشوه خلقتهم وقدودهم واشكالهم ثم حرك الحبال فلما احس بذلك من في المركب جذبوا الحبال واخرجوا التابوت فلما خرج الاسكندر من التابوت وساروا الى مدينة الاسكندرية امر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوره الاسكندر وصاحباه فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطئ البحر ثم امرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت الى البحر ولم تعد بعد ذلك :

« ثم لما بنيت الاسكندرية وشيدت امر الاسكندر ان يكتب على ابوابها « هذه الاسكندرية اردت ان ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور ولم يرد الباري عز وجل ملك السماوات والارض ومفنى الامم ان نبنيها كذلك فبنيتها واحكمت بنيانها وشيدت سورها واتاني الله من كل شيء علماً وحكماً وسهل لي وجوه الاسباب فلم يتعذر عليَّ في العالم شيء مما اردته ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفاً من الله اعز وجل وصنعا بي وصلاحاً لي ولعباده من اهل عصري والحمد لله رب العالمين لا اله الا الله رب كل شيء »

« ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما يؤول اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس و بيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الازاج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق وتنفسات للضياء ومنافذ للهواء . وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة بها لئلا يصيب اهلها شيء من المطر وقد كان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة الوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول و ربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام ابصار الناس لشدة بياضه . فلما أحكم بناؤها وسكنها اهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير . ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على اعمدة هناك تدعى المسال - وهي باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على

هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعاً على عمد من نحاس وجعل تحتها صوراً واشكالاً وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا العالم . وعند اصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين انه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفضت اخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تاتي في هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من اصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفي الكتب في هذا المعنى ولهم في ذلك سر من اسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعاً له . ولغيرهم ممن ذهب الى ان ذلك للطف قوي الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس . وما ذكرنا من درج الفلك فموجود في كتب من تاخر من علماء المنجمين والفلكيين كابي معشر البلخي والخوارزمي ومحمد بن كثير الفرغاني وماشاء الله وحسن اليزيدي ومحمد بن جابر البناني في زيجه الكبير وثابت بن قره وغير هولاء ممن تكلم في علوم هيئات الفلك والنجوم

انتهت هذه الرواية . وانه من الغرابة بمكان عظيم ان يصدق المسعودي خرافات كهذه الخرافات ولكننا نبهنا منذ البداية الى اننا لا ننقل هذه الرواية الا على سبيل الفكاهة

اما اسكندر فانه بعد اقامته مدة في مصر عاد الى سوريا ليزحف منها الى داريوس وسنأتي على تتمة الكلام

من الجنون ان يعتقد الانسان بانه يعرف كل شيء ومن العقل ان يدرس دائماً لزيادة معارفه (نيوتن)

في بعض الناس من يكون ثناؤهم عليك مهيناً شائناً كذم الذامين اياك . وفي طعن بعضهم ما يكون في الحقيقة مدحاً وثناءً (غريم)

في كل سنة تفقد البلاد مائة الف طفل بسبب استئجار الامهات مراضع لهم وعدم ارضاعهم بانفسهن (الدكتور دوجاردين بومتز)

اهون على الانسان ان يقتبس مائة فضيلة من ان يصلح في نفسه نقيصة واحدة (لا بروبير)

ان اعظم مدح توجهه الى امرأة تريد مدحها هو ان تذم امامها المرأة التي تكرهها (مدام دي جراردين)

باب المقالات

اين نجد الحقيقة وكيف نجدها

او

الكوخ الهندي

سفر من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير وقد كان نابوليون الاول شديد الاعجاب به حتى انه كان كلما لقي برناردين مولفه يقول له « متى تكتب لنا كوخاً هندياً ثانياً » اما موضوع هذا السفر فهو البحث عن الحقيقة وتقرير ماهيتها والطريق اليها فان كل طائفة من البشر تدعي انها اكثر معرفة بها من سواها وتصورها كما يزينها لها هواها · ويتخلل ذلك كلام فلسفي عن البراهمة الذين هم اكليروس الهنود وعن رئيسهم واخلاق الهنود ووصف شؤونهم واكتشاف الحقيقة في الهند مهد الفلسفة والحكمة · وكل هذا في قالب قصة لطيفة يجدر بجمهور العقلاء ان يطالعوها بامعان كثير

١

منذ زمن بعيد انعقد في لندن مجمع مؤلف من بعض علمائها للبحث عن الحقائق العلمية والتفتيش في جميع اقطار العالم عن كل ما من شأنه انارة عقول البشر وترقية شؤونهم وزيادة راحتهم · وقد انضم الى هذا المجمع كثيرون من نبلاء الانكليز واساقفتهم وتجارهم وبعض امراء الاسرة الانكليزية المالكة وبضعة من امراء شمالي اوروبا

وكان عدد العلماء في هذا المجمع عشرين عالماً · فالقى المجمع الى كل واحد منهم سفراً فيه بيان المسائل العلمية التي عزم على ارسالهم الى اقطار الارض للبحث عن حل لها وعددها ثلاثة الاف وخمسمائة مسألة · وكانت كلها مع اختلاف موضوعها ملائمة لطبيعة الاقاليم التي قرر البحث فيها ومرتبطة بعضها ببعض اشد ارتباط حتى اذا انحلت احداها انحل معها ما يتقدمها وما يليها كأن رئيس المجمع الذي انشأها بمساعدة رفاقه الاعضاء قد شعر بان القضية قد يتوقف حلها على حل قضية اخرى مرتبطة بها وهلم جراً

وكان الرئيس يرى ان هذا العمل الذي عزم المجمع على عمله سيكون اعظم الاعمال

العلمية التي اقدم الانسان عليها لانه يكشف الغطاء عن مجهولات الكون ويجمع شتات الحقائق المتفرقة على ظهر الكرة الارضية . قال . واذا نجح هذا العمل العظيم كان اعظم دليل على ضرورة الهيئات الاكاذيمية (المجامع العلمية) لجمع الحقائق العلمية من اطراف العالم

وقد عهد المجمع الى اولئك العلماء فوق ما تقدم من البحث في المسائل التي اشرنا اليها ان يبتاعوا في طريقهم كل ما يجدونه من نسخ التوراة القديمة والكتابات والآثار القديمة . واذا لم يتمكنوا من ابتياعها فلينسخوها او يستنسخوها . ثم ان زملاءهم اللوردات والامراء تمهيداً لهذا السبيل اعطوهم رسائل توصية الى سفراء انكلترا في الجهات التي يقصدونها فضلاً عن الحوالات المالية اللازمة التي هي انفع من رسائل التوصية

٢

وكان اشهر هؤلاء العلماء عالم كبير يعرف اللغة العبرانية والعربية والهندية فارسل الى الهند مهد الفلسفة والفنون ليبحث فيها . فمرّ اولاً بهولانده فزار المجمع العبراني في امستزدام ومجمع دوردريخت ثم عرّج على فرنسا فزار كلية السوربون واكاذيميتها . ومنها قصد ايطاليا فزار كثيراً من الجمعيات والمكاتب والمتاحف منها متحف فلورنسه ومكتبة سان مارك في البندقية (فينيسيا) ومكتبة الفاتيكان في رومه . واذ كان في رومه خطر له الشخوص منها الى اسبانيا لزيارة كلية سالمانك الجامعة ولكن خوفه من ديوان التفتيش اثناه عن عزمه وجعله يؤثر السفر راساً الى تركيا فوصل الى الاستانة ووقف على الكتب الثمينة التي في جامع آجيا صوفيا

ومن هنالك قصد مصراً وباحث اقباطها ثم اتى لبنان وباحث علماء المارونيين ورهبان جبل الكرمل . وشخص من لبنان الى سانا في بلاد العرب ومنها الى اصفهان فزار قندهار ودلهي واكرا

وهكذا صرف في سياحته ٣ سنوات وهو يتنقل من مكان الى مكان ويناظر العلماء في كل بلاد نزل فيها حتى انتهى الى ضفاف نهر الكانج الى بيناريس التي هي من الهنود بمنزلة آثينا من اليونان اما ما جمعه في اثناء هذه السياحة من الكتب والنسخ القديمة والكتابات والاثار في كل فن وعلم فحدث عنه ولا حرج . فانه جمع مجموعة لم يجمعها احد قبله وليس لاحد ان يجمعها بعده . وكفى في وصفها ان يقال انها كانت مطوية في تسعين « رزمة » زنتها الفان وثلاثمائةوست وثمانون اقة . وكان الدكتور مسروراً بها لانها جاءت من وراء آمال المجمع الذي بعثه لجمعها

الا انه جلس في ذات يوم يفكر في سياحته ويقلب « رزم » مجموعته نخطر له خاطر ملأ نفسه حزناً وانقباضاً · ذلك ان الدكتور سأل نفسه اي امر عظيم صنعت بعد كل ما جمعت من الكتب المختلفة والآثار المتباينة · انني باحثت علماء اليهودية والبروتستانتية والكاثوليكية والارثوذكسية والاسلامية والارمنية والفارسية والهندية · وذاكرت اكاذيميات باريز وكريسكا واركاد و٢٤ اكاذيمية اخرى · ولكن ماذا عملت بعد كل هذا · هل استطعت حل مسالة واحدة من الـ ٣٥٠٠ مسالة التي ارسلت للسؤال عنها والبحث فيها

وكانت هذه المسائل مقسومة اقساماً · منها ٢٠٠ مسالة في الديانة العبرانية و٥٨٠ في الكنيسة اليونانية والرومانية وفروعها و٣١٢ في ديانة البراهمة القديمة و٥٠٨ في اللغة السنسكريتية اي لغة الهنود المقدسة و٣ مسائل في حالة الهنود الاجتماعية الحاضرة و٢١١ مسالة في التجارة الانكليزية في الهند و٧٢٧ في الاثار القديمة التي في جزائر اليفانتا وساليته وبومباي و٥ في تاريخ العالم وقدمه و٦٧٣ في مصدر الند السنجني وحجر البازوارد وانواعه العديدة و١ في السبب الذي يدفع الاوقيانوس الهندي ٦ اشهر الى الشرق و٦ الى الغرب وهو الامر الذي لا يزال مجهولاً و٣٧٨ في مصادر نهر الكانج وفيضانه · وقد عهد الى هذا العالم بهذه المناسبة ان يبحث بحثاً مدققاً في مصادر نهر النيل واسباب فيضانه وذلك مما شغل عقول العلماء قروناً عديدة · ولكنه لم يكن يلتفت كثيراً الى هذه المسالة لانها خارجة عن دائرة ابحاثه الاصلية فضلاً عن ان جمعية العلماء كانت قد فرغت في المناظرة فيها

وقد قال هذا العالم في نفسه بعد ما عدّد المسائل التي مرّ ذكرها · ماذا استفدت من كل الاثار التي جمعتها · ان الكتب والاسفار والملاحظات المذكورة تجيب كلها على المسائل المطلوب حلها اجوبة متناقضة متباينة · فاذا افترضنا انها تجيب على كل مسالة منها بخمس اجوبة متباينة فقط كان مجموع اجوبة الـ ٣٥٠٠ مسالة ١٧٥٠٠ جواب · واذا افترضنا ان كل واحد من زملائي التسعة عشر الذين ارسلوا للبحث مثلي قد جاءوا بهذا العدد من الاجوبة ترتب على المجمع الملكي المذكور آنفاً ان يحلّ ثلاثمائة وخمسين الف مسالة قبل ان يتمكن من تقرير حقيقة ووضع مبداء على اساس وطيد

اذن فالمجموعة التي جمعها هو ورصفاؤه كانت نتيجتها ابعاد المسائل المطلوب حلها الواحدة عن الاخرى بدلاً من جمعها وتوجيهها كلها الى مركز واحد ونقطة واحدة · اذن فهذه المجموعة تزيد ظلام العقول ظلاماً وتزيد البعد عن الحقيقة بعداً · وهذا هو الامر

الذي ساءه وملأ نفسه حزنًا وانقباضًا. فجعل يقول في نفسه « ماذا صنعت اذا كنت بعد كل ما عانيت من المشاق والاضطهاد لا احمل لابناء وطني في هذه الرزم الكثيرة سوى وسائل جديدة للشك والارتياب ومواضيع جديدة للمناظرة والخصام »

وقد كان يفكر في ذلك وهو على اهبة السفر للعودة الى انكلترا وفي نفسه مرارة الضجر واليأس واذ بلغه من براهمة بينار يس ان رأس البراهمة المقيم في هيكل « جاكرينا » قادر وحده على حل جميع المسائل التي كان يسال عنها . وكان هذا الهيكل قائمًا على شاطيء اور يكسا بجانب البحر قريبًا من احد مصاب نهر الكانج

وكان هذا البرهمي اعظم البراهمة في ذلك الزمان واوسعهم علمًا واكثرهم شهرة وقد طبق صيته الخافقين فكان الهنود وغير الهنود يفدون عليه من كل اقاليم الهند وممالك آسيا لاستشارته واستفتائه

فسافر الدكتور في الحال الى كلكيتا وقابل مدير الشركة الانكليزية الهندية واطلعه على عزمه . فاجلالاً للعلم وللوطن الذي ينتمي الدكتور اليه قدر المدير هذا الامر قدره واعدّ للدكتور معدات السفر . فخرج الدكتور من كلكيتا بحاشية غريبة الازياء . فانه ركب هودجًا هنديًا يحمله ٨ من اقوياء الهنود على اكتافهم وصحبه رجال واحد منهم لحمل الماء وثانٍ لحمل الابريق وثالث لحمل النرجيلة ورابع لحمل مظلة تقي الدكتور حر النهار وخامس لحمل النور في الظلام وسادس لجمع الحطب وشقه وطباخان لاصلاح الطعام وجملين بقائديهما لنقل المؤونة والاثقال وساعيان لاعلان حضوره واربعة فرسان على جياد فارسية لحراسته . ورجل لحمل العلم الانكليزي في المقدمة . وكان مدير الشركة عالمًا بعادات الهنود . فلم يكن يجهل انه لا يجب المثول لدى كبرائهم بايدٍ فارغة ولذلك اعد للدكتور هدية ليرفعها الى رئيس البراهمة . وكانت هذه الهدية تلسكوبًا بديعًا وبساطًا فارسيًا جميلاً يليق بان يُبسط تحت قدمي عظيم البراهمة فضلاً عن انسجة جميلة لامراته و٣ قطعٍ من التفتا الصينية الحمراء والبيضاء والصفراء ليجعل منها وشائح لتلامذته . وكان الدكتور قد حمل هذه الهدايا في هودجه وسار محمولاً على اكتاف الرجال قاصدًا هيكل جاكرينا

٣

وفيما هو سائر على اكتاف رجاله اخذ يقلب سفر المجمع الملكي ويبحث فيه عن المسائل التي يجب ان يستهل بها كلامه مع رئيس البراهمة . فجعل يسأل نفسه قائلاً :

أأستبله باحدى المسائل المتعلقة بنهر الكانج . ام بالمسالة المختصة بالبحر الهندي

وتعاقب امتداده الى الشرق والغرب فاننا اذا وقفنا على اسباب هذا الامتداد تمكنا من الاستدلال على مصادر الاوقيانوس وحركاته في كل اقطار العالم · ولكن الدكتور ما لبث ان عدل عن هذه المسالة لانها على اهميتها كانت لا تزال في حيز الاهمال · فراى ان يسأله اولاً هذا السؤال: « هل كان الطوفان عاماً على الارض » فان هذا الامر قد اضرم نار الجدال والخصام مرات عديدة · ثم عدل عن هذا و بدا له ان يساله عما جاء في تقاليد المصر يين حسب رواية هيرودوتس من ان الشمس غيرت مجراها مراراً فكانت تشرق من المغرب وتغرب في المشرق · ولكنه راى ان يعدل عن هذا السؤال ايضاً و يختار الاستفهام منه عن قدمية العالم وتاريخ الخليقة الذي يجعله الهنود منذ عدة ملايين من السنين · ثم جال في خاطره ان يساله عن حقوق الانسان و واجباته واحسن الحكومات وافضلها لسياسة الشعوب · الا ان هذه المسائل لم تكن وا اسفاه من ضمن مسائل المجمع

وبينما هو يجيل هذه المسائل كلها في خاطره استوى بغتة جالساً في الهودج والقى الكتاب من يده وقال في نفسه : لا هذه ولا تلك · بل استهل كلامي مع رئيس البراهمة بسؤاله عن الحقيقة واين نجدها وما هي الطريق اليها فان حل هذه المسالة بمنزلة حل جميع المسائل التي لدي · فاذا قيل اننا نجدها في الكتب قلت ان جميع الكتب متناقضة متباينة · وان قيل ان العقل يوصلنا اليها و يعرفنا بها اجبت ان العقل يختلف في البشر باختلاف اذواقهم وتربيتهم واخلاقهم ومصالحهم · فاذا اجابني رئيس البراهمة وحل مسالتي اصبحت قابضاً على مفتاح الحقائق الادبية والعلمية كلها فافتح بها حينئذ اقفال المسائل التي معي واعيش بواسطتها مع الناس براحة وسلامة

هذا ما عزم الدكتور عليه وهو سائر على اكتاف الرجال و بعد مسير عشرة ايام بلغ الى خليج بنكال فكان يلقى في طريقه افواجاً افواجاً من الناس عائدين من هيكل جاكرينا وكلهم السنة ناطقة بفضل راس البراهمة الذي تشرفوا بمقابلته لاستفتائه واستشارته فادهشهم بسمو مداركه وسعة معارفه

ولما طلع صباح اليوم الحادي عشر ظهر للدكتور هيكل جاكرينا القائم على شاطئ البحر و بدت له جدرانه الحمراء الضخمة وا روقته وقبابه وابراجه الصغيرة المصنوعة من الرخام الابيض · وكان هذا الهيكل قائماً في ملتقى تسعة طرق كبرى على جوانبها صفوف الاشجار الظليلة الدائمة الخضرة · وكان كل واحد من هذه الطرق يؤدي الى واحدة من الممالك التالية : سيلان وخولكند و بلاد العرب والفرس وثيبة والصين وآفا وسيام وجزائر البحر الهندي ·

وكل واحد منها مغروس بنوع من الشجر فاحدها مغروس بالنخيل الهندي والثاني بالنارجيل والثالث بالعنباء والرابع بالكافور والخامس بالخيزران والسادس بالموز والسابع بالصندل والثامن بشجر التبك والتاسع بشجر اللاتانيه

اما الدكتور فوصل الى الهيكل من الطريق المغروسة بالخيزران وهي التي تجاور الكانج والجزائر الجميلة التي هي عند مصبه . ولما بلغ الهيكل وتامله عن قرب عرته الدهشة لما شاهده في بنيانه من الضخامة والفخامة . فقد كانت ابوابه البرونزية تتالق تحت اشعة الشمس تالق البلور والنسور حائمة حول قبابه الشاهقة التي كانت تناطح السحاب وتتوارى في العنان . وكان محاطًا باحواض كبرى من الرخام الابيض تنعكس الى مائها الصافي صورة قبابه واروقته وابوابه . حول ذلك كله فناء متسع وحدائق فسيحة فيها كثير من الابنية يسكنها البراهمة القائمون على خدمة الهيكل

ولما دنا الدكتور من ابواب الهيكل تقدمه سعاته ركضًا لاعلان قدومه . فما دخل هؤلاء حتى خرجت من احدى الحدائق جمهور من العذارى الهنديات ممن وظيفتهن الرقص والغناء امام الهياكل واستقبال الزائرين فاسرعن لملاقاة الدكتور بالغناء والرقص وفي اعناقهن عقود من الازهار الجميلة وفي خصورهن اكاليل من زهر طيب الرائحة . فسار الدكتور مع رجاله بينهن وهن راقصات منشدات تنبعث منهن الروائح العطرة ثم دخل الى فناء الهيكل

ولما اصبح الدكتور عند الباب الداخلي التقى نظره الى داخل الهيكل فراى في صدر المكان على نور القناديل الفضية والذهبية الموقدة فيه تمثال « جاكرينا » بشكل هرم ولا يد له ولا رجل لانه فقدهما يوم اراد حمل العالم ليخلصه . اما جاكرينا هذا فانه المخلوق الذي تجسد فيه برهما للمرة السابعة . وكان على قدمي التمثال كثيرون من الهنود جاثين امامه برهبة وخشوع ووجوههم لاصقة بالارض وكلهم يستغفرون جاكرينا ويسالونه ان يرضى عنهم . وكان بعضهم ينذر له ان يعلق نفسه من كتفيه وراء مركبته في يوم الاحتفال الذي يُحتفل بعيده و بعضهم ان يلقي بنفسه تحت عجلاتها ترضيًا له

فقام في نفس الدكتور انفة واشمئزاز من تلك النذور والمناظر فصرف وجهه عنها وهمّ بالدخول الى الهيكل . فاعترضه برهمي شيخ كان يحرس الباب وساله عن الامر الذي جاء من اجله فابلغه الدكتور ذلك فقال له البرهمي انه لا يجوز له المثول بين يدي « جاكرينا » او كاهنه الاعظم ما لم يُغسل ثلاثًا في احد مغاسل الهيكل ويُنزع عنه كل

ما كان عليه من اثر الحيوان وخصوصاً البقر والخنزير لان البراهمة يعبدون الاول ويكرهون الثاني

فاجابه الدكتور « وما الحيلة اذاً بالهدية التي جئت بها الى راس البراهمة فان فيها بساطاً فارسياً مصنوعاً من شعر ماعز انكورا ونسيجاً مصنوعاً من الحرير » فاجابه البرهمي بقوله « ان كل ما يقدم الى هيكل جاكرينا او الى كاهنه الاعظم يطهر من نفسه اذا كان نجساً »

فاضطر الدكتور الى خلع ملابسه وحذائه لان الملابس مصنوعة من الصوف والحذاء من جلد الماعز . ثم خلع قبعته لانها مصنوعة من جلد كلب الماء و بعد ذلك اخذوه الى احد مغاسل الهيكل فغسلوه فيه ثلاث مرات ثم جاءه البرهمي بغطاء قطني كبير فالتف به الدكتور وسار في اثر البرهمي الى باب القاعة الكبرى التي هي مقام راس البراهمة

ولكنه لما وصل الى الباب رآه البرهمي يتأبط كتاباً وهو السفر الذي يحتوي مسائل المجمع الملكي فساله عن المادة التي صُنع منها غلاف هذا الكتاب فاجاب الدكتور انه من جلد العجل . فاستشاط البرهمي غيظاً وصاح بالدكتور « اما اخبرتك ان البقر من معبودات البراهمة فكيف تُقدم على مقابلة احدهم وفي يدك كتاب مغلف بجلد معبوده . يجب عليك الآن ان تُغسل ثلاثاً ايضاً فانك اصبحت نجساً بمسك هذا الجلد »

ولكن الدكتور كان من حسن الحظ حكيماً وممن يحسنون التخلص . فذهب الى ملابسه ثم عاد ووضع في يد البرهمي قطعاً من النقود فلزم البرهمي الصمت كأن المال ماء الكانج يطهر من كل رجس . ثم انه القى ذلك الكتاب في محمله وقال في نفسه : لست بحاجة الى هذا الكتاب اذ حسبي ان اسال عظيم البراهمة هذه المسائل الثلاث

ما هو الطريق الى الحقيقة

اين نجد الحقيقة

هل يجب ان نقول الحقيقة للناس دائماً

قال ذلك ثم دخل في اثر البرهمي الى قاعة رئيس البراهمة وهو مكشوف الراس عاري القدمين لا يستر جسده الا الغطاء القطني الذي ذكرناه آنفاً ستاتي البقية

زراعة التوت وتربية دود الحرير

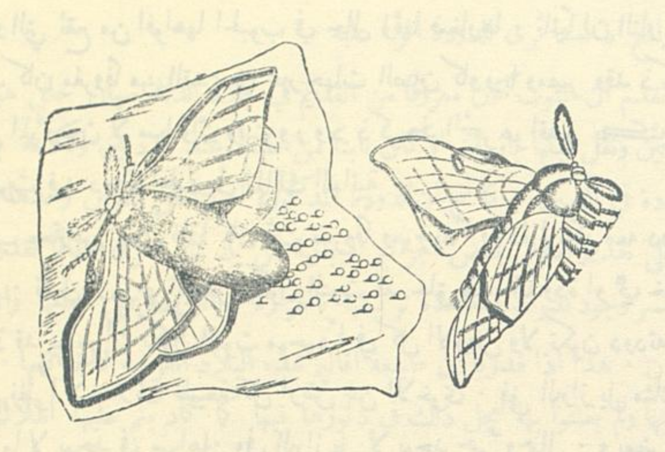
ادخال اللبنانيين هذه التربية الى البرازيل

مما نسطره بمداد السرور ان السوريين واللبنانيين المهاجرين الى الاقطار الاميركية قد اهتدوا بعد طول عهدهم بالمهاجرة الى الطرق الحقيقية التي تؤدي بهم الى النجاح الحقيقي وتجعلهم في المستقبل رجالاً وتصير امتهم امة قوية محبوبة ومحترمة · فقد اخذوا يهتمون في تلك الاقطار بالزراعة والتجارة والصناعة اهتماماً مخصوصاً · من ذلك انهم ادخلوا الى البرازيل صناعة استخراج الحرير من (دود القز) فقامت الجرائد البرازيلية تحرض امتها على تنشيط هذه الصناعة واقترحت الجمعية الزراعية البرازيلية الكبرى على الحكومة ان تاخذ بناصر اللبنانيين الذين يربون دود الحرير وتساعدهم · وقد اقترح بعض البرازيليين على جريدة الاصمعي الغراء ان تكتب فصلاً في تاريخ دود الحرير وصفته وطريقة تربيته ليترجموا هذا الفصل وينشروه في بعض جرائدهم فانشأ الاصمعي الفصل التالي·
وقد نشرنا هذا الفصل لغرضين · الاول رغبتنا في نشر شيء عن هذا الموضوع الذي طلب منا في الاسبوع الماضي بعد القراء في جبل لبنان ان نكتب فيه · والثاني نشر هذه المأثرة للبنانيين النشيطين الذين سيذكرها لهم التاريخ البرازيلي بالشكر والحمد لادخالهم الى تلك البلاد صناعة ستصبح من اهم الصنائع البرازيلية · اما الفصل المذكور انفاً فهذه خلاصته

في تاريخ دود القز وخروجه من الصين

اول ما يدهش المؤرخ عند البحث في تاريخ هذه الدودة هو بقاؤها قروناً عديدة مجهولة من الانسان · اذ ابعد وقت عُرف انها اكتشفت فيه كان في سنة ٢٦٥٠ قبل الميلاد ولكن اذا انتحل المؤرخ للانسان عذر توحشه في القدم وعدَّ ذلك عذراً مقبولاً له فانه لا يلبث اذا علم ان تلك الدودة قد امكن حصر اكتشافها في بلاد الصين مدة ثلاثة قرون ونيف قبلما درى بها اهل المغرب والمشرق الادنين ان يزيد به الاندهال لا سيما وان امة الصين تبلغ ثلث العالمين

على اننا اذا نظرنا الى هذه الامة وما هي عليه من العادات والتقاليد وكيف ان سوادها الاعظم كان ولا يزال يعيش ويفنى وهو لا يُسمح له بتعلم القراءة مثلاً او النظر الى وجوه ملوكه بطل منا ذلك العجب وعددنا حصر ذاك الاكتشاف امراً بسيطاً في



دود القز ـ ذكر وانثى تبزر بزر الحرير

جنب ما ذكر . وليس الخفاء مع ذلك مدة طويلة بالعجيب فقد ظل العالم الجديد دهوراً طوالاً مجهولاً لا يدري به اهل العالم القديم ولم يكن يسمع احد بوجوده قبل ان عثر عليه الرحالة كولومبوس منذ ٤٠٠ سنة

ومما هو باعث على الاستغراب ايضاً عدم وجود الدودة المذكورة او بالحري عدم تولدها في غير بلاد الصين في حين ان شجر التوت كان معروفاً في غيرها . والذي يدعونا الى هذا القول هو ما ذهب اليه بعض المؤرخين من ان التوت انما قد خلق لتلك الدودة . والذي دعاهم الى هذا الزعم استحالة معيشة هذه بسواه

وذهب بعض المؤرخين الى ان التوت لم يكن موجوداً في غير الصين وانه هو والدودة قد نقلا منها معاً بوقت واحد . ولنا على هذا الزعم اعتراضات تنقضه . اولاً انه لا يمكن ان يؤتى ببيظ الدودة وبزر التوت فتنتظر الدودة بعد فقسها بزر التوت الى ان يُبذر فيقلع فيغرس ويصير شجراً صالحاً لتغذيتها . لان الدودة لا تعيش بدون غذاء بعد فقسها في حين ان التوت لا يورق ويصبح كافياً لاطعامها الا بعد مرور ثلاث سنين . ولكننا اذا فرضنا ان التوت قد نُقل من الصين اولاً او جيء به شتلاً ثم تبعته الدودة بطل هذا الاعتراض وامكن ان يقال بنقل الاثنين معاً على هذه الكيفية . واذا صعب نقل الشتل دون ان تدري بها الحكومة كالبزر فيعلل ذلك بانه ربما نقل جهراً . ولا يخفى ان الصين انما كانت تهتم بحصر بيظ الدود اكثر من بزر التوت اذ لم يكن يهمها خروج هذا النبت وحده من بلادها . ولعله ايضاً قد انتقل منها بواسطة بعض فراخ الطير التي لا تهضم معدها

البزور او التي تقع من افواهها الحبوب في حال زقها صغارها · ثانياً ان التاريخ يدلنا على ان التوت كان معروفاً من القديم في غير جهات الصين كاوربا ومصر وقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين لا سيما وان وقت ورود ذكر هذ الشجر هو اقدم بكثير من الوقت الذي ظهرت فيه دودة الحرير في الممالك الدانية

ورب معترض يقول فاذا كان ثمت معروفاً وموجوداً فلماذا لم تكن معه دودته في هذه الارضين · نقول ان زعم البعض بكون التوت قد خلق لهذه الدودة او هي خلقت له ليس ثابتاً · اذ قد يصح ان يكون التوت موجوداً في كل الارض ولا تكون دودته موجودة الا في الصين نظراً لاختلاف طبيعة كل ارض عن الاخرى · ففي البرازيل مثلاً من النبات والحيوان ما لا يوجد في سواها · وفي البرازيل لا يوجد حمير وجمال · وبعض السمك في شواطئها يختلف عن اسماك بقية شواطئ غيرها والبحر واحد · وربما نما الجنس الواحد في بلدٍ نمواً لا يبلغ معشاره اذا ربي في بلد ثانية · ففي بعض البلدان تجد من الخفاش ما هو بقدر الصقر والبازي وتجد من نمل غيرها او بعوضها ما يصير الى حجم الزرزور وكل ذلك راجع الى طبائع الاقاليم من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة على اختلاف المقادير

ولنضرب شاهداً آخر فنقول انه كثيراً ما يصيب بعض المزروعات آفة في جهة لا تصاب بها في غيرها فالقطن مثلاً قطن في اميركا وفي مصر والبرازيل وغيرها ولكنه قد تعرض له في مصر دويبة لا يرى لها اثر في اميركا · ودودة القز هي بالحقيقة آفة لشجر التوت ربما كان الانسان يسعى بابادتها لو لم يرَ منها نفعاً جاءه باعظم من نفع التوت له · وافتراض انها آفة طرأت على توت الصين يعلل لنا ايضاً سبب عدم اكتشافها في كل تلك القرون الغابرة · اذ لا يبعد ان التوت كان من قبل سليماً منها في الصين وفي كل الدنيا

واذا فرضنا ان الدودة تولدت وتتولد مع شجر التوت اينما كان وان التوت الذي كان في ايطاليا ومصر وغيرهما كان ذا دودة ايضاً ولكنهم لم ينتبهوا لطريقة تربيتها وحل قزها كما توفقت الى ذلك احدى ملكات الصين لاول الامر الا لما انتقل اليهم بتفصيل ما تعمله فيها الصين لجاز هذا الفرض · ولكنه ربما وهن جوازه من حيث ان فرنسا مثلاً التي كان فيها التوت بناءً على قول المؤرخين انه كان موجوداً في اكثر بلدان او ربما كانت عمدت لما سمعت بظهور الدودة في اليونان وايطاليا الى البحث في اصول وفروع شجر التوت الذي عندها فالفتها فيها اذا كانت من ثم موجودة وما انتظرت ان تجلبها من تينك المملكتين · او بالحري لكننا اذا فتشنا نحن الآن في شجر التوت اينما وجد لالفيناه مدوداً وليس هو

كذلك بالواقع اذ لسنا نرى للدودة اثراً عليه

نتج مما تقدم ان التوت كان معروفاً من القديم في بلاد الدناة سيان خُلق هو والدودة اولاً في الصين ونقل قبلها بازمان او كان نابتاً من طبعه عند الادنين ولكنه بغير دودة عندهم و بدودة في الصين . كما نتج ان الدودة المذكورة اصلها من الصين وحدها وقد نقلت منها عمداً على تقدير انتقال بعض الجراثيم الوبائية من بلد الى اخرى اتفاقاً فقدر المعتنون بها نظراً لتيسر وجود التوت ومعاهدة تربيتها بالحرارة و بالبرودة على انمائها وابقائها حية فيها الى الآن . هذا اذا قدرنا ان طبيعة اقاليم هذه البلاد القريبة لا توافقها . وربما لو تركوها وشانها ولم يعتنوا بها لعجل ذلك في دثورها فيها كما كاد يتم عليها الهلاك عند ما اصابتها بعض الامراض في السنين الاخيرة وكما تدثر احياناً اكثر الميكروبات بعد طول مكوثها في البلد الواحد اذ لا شك ان ما كان يسبب فناء هذه احياناً ان هو الا امراض من قبيل الامراض التي اعترت جراثيم القز اذا لم تكن مثلها تماماً

اما تاريخ اكتشاف طريقة حل القز وتربية تلك الدودة فتبدأ منذ سنة ٢٦٥٠ ق م كما سبق حيث توفقت اليه ملكة صينية اسمها سِلنغتشي . ولما عرف الصينيون مقدار الثروة التي تنتج لهم من هذا الاكتشاف حصروه في بلادهم ورفعوا مقام تلك الملكة الى مقام الآلهة وسموها سي آنتشان . قال المسيو ستنسلاس جليان الفرنسوي ان معنى هذا الاسم هو المربية الاولى لدودة الحرير . وما زال كثيرون من الصينيين يعبدون سي آنتشان حتى الآن ويقربون لها في عيدها القربان . وبعض النساء الشريفات يجدن بركة في الاقتداء بها فيربين الدودة ويغزلن حريرها . وهذا الامر دعا احدى الاميرات الى تهريب بيظها مخبأ في شعر راسها الى بلاد خوطان عند ما اقترن بها ملكها ورات انها لا يمكنها ترك عبادة آنتشان . ولكنه حُظر عليه فيها ايضاً حتى سنة ٥٥٢ ب م حيث نقله راهبان ضمن عكازيهما المجوفين على نحو ما يفعله مهربو الحشيش الآن وقدماه هدية الى احد ملوك اليونان فاجازهما بجائزة سنية . وانتشرت دودة القز في اقليم البلبنيسا من بلاد اليونان ولذلك سمي بالموره اي التوت وهو لفظ يوناني . وفي سنة ١٣٠٠ انتقلت الى ايطاليا بعد تغلب ملك صقلية على اليونان ومن ثم الى فرنسا حوالي القرن الخامس عشر . وكانت الملوك والحكومات تبذل جميع المساعدات المادية لترويج هذه الزراعة . ومن اولئك الملوك شارل الحادي عشر وهنري السادس وغيرهما من الوزراء العظام

في حياة دودة القز

اما حياة هذه الدودة وكيفية طبائعها فاكثره قد اصبح معروفاً لدى اهل بلادنا وقد ذكر الاشيهي ملخصاً عن احد علماء الحيوان من العرب حياة دودة القز فقال . « ومن عجيب امرها انها تكون اولاً مثل بزر التين ثم تصير دوداً وذلك في اوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الاماكن الدافئة اذا كان مصروراً في حق وربما تاخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض . قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك في مدة ستين يوماً . قال ثم ياخذ في النسيج بما يخرجه من فيه الى ان ينفد ما في جوفه ثم يخرج شيئاً كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان عن الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان . قال ويكون قد فرش لها خرقة بيضاء فينشران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا اريد منها البزر وان اريد الحرير تركا في الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس الرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك » اه

قلنا والسبب في قوله وان اريد الحرير تركا في الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت . هو ان الدودة يتولد في فمها وهي في البيضة المنسوجة مادة سائلة متى لامسها النسج تحلل وفسد ولم يعد صالحاً للحل . وانما تتولد منها تلك المادة لتسهل لها الخروج من حبسها عند ما تنتهي من عملها

والدودة تسلخ جلدها اربع مرات وقد تسلخه ثلاثاً فقط نظراً لسرعة نموها فتبدل جلدها بغيره كلما ضاق عليها الاول وتصوم عند السلخ وهذه حكمة فيها لانها تكون بهذه الحالة مريضة والحمية افضل الادوية لمن كان مريضاً . ويكون كل سلخ اشرق بياضاً من الاخر وهذا تعليل قوله . وينتقل من البياض الى السواد . وهي تزداد شراهة بعد السلخ الرابع فتاكل ليلاً ونهاراً مدة ثمانية ايام وفي اليوم العاشر تصعد الى غصن وتغزل نسجها . وفي جوفها اجربة مستطيلة ينصب اليها سائل لزج يخرج من انبوبتين دقيقتين قريبتين من فمها بهيئة خيطين يمتدان قليلاً ويلتصقان فيكونان خيطاً واحداً تنسج منها البيضة « الفيلجة » . وتبدأ ذلك من الخارج الى الداخل على غشاء تجعله كاساس لبنيانها وهي

لا تكل من العمل · فاذا تمت البيضة احتجبت ضمنها · وقد تتمها بيومين او ثلثة فاذا اريد حريرها سبب لها ذلك هلاكها وفي هذا المعنى قال البستي

الم ترَ ان المرء طول حياته معنى بامرٍ لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

يفني الحريص بجمع المال مدته وللحوادث ما يبقي وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

و يقولون ان معدل ما تنسجه الدودة الواحدة يبلغ خيطاً طوله ١٥٠٠ متر · ويتغير جثمان الدودة بعد تحولها الى فراشة تغيراً كبيراً يتناول داخلها ايضاً فلا يبقى من اعضائها شيء على اصله من معدة ومعي وجهاز وعضل

و يستعيض اهل الزمن الحاضر عن وضع البزر تحت ثدي النساء بحرارة صناعية يرفعونها له حسب اللزوم · وبدلاً من وضع الدودة في حرارة الشمس عند التماس حريرها جعلوا الآن يخنقونها بالبخار

واجناس دود القز كثيرة والوانها مختلفة وكذلك اشكال بيوضها الحريرية ولكل منها بعض طبائع تختلف عن الاخرى قليلاً الا انها لا تحسب شيئاً يذكر فاضربنا عن بيانها اقتصاراً على ذكر الجنس الاعم منها وهو الذي تدخل تحته باقي الاجناس

في امراض الدود

ولقد كان فشا في الدود من زمن وباءان اكتشف احدهما العلامة باستور فكادا بسبب كونهما معديين يمحقانها عن وجه الارض لو لم يتداركها العلامة المشار اليه بعد عناء كبير بطريقة تربيتها المشهورة التي اذا جرى عليها المشتغلون بالدودة امكنهم ان يحفظوا حياتها بها · وللدود امراض اخرى ولكنها غير خطرة

سكان الارض وسكان السماء

المريخ والارض

ورود « تلغراف » في هذا الشهر من اهالي المريخ الى الارض · صعود امرأة الى المريخ ووصفها معيشة سكانه وحفلاتهم واناشيدهم ولغتهم · حادث غريب

كلمة سابقة

« المريخ سيار من السيارات التي تدور حول الشمس · معدل بعده عنها ١٣٩ مليون ميل والثقل النوعي فيه اخف ٣ مرات من الثقل في ارضنا فالثلاثة الارطال عندنا رطل واحد فيه · اما سنته فهي ٦٦٨ يوماً و يومه ٢٤ ساعة و٣٩ دقيقة و٣٥ ثانية وتظهر منه الشمس اصغر قليلاً مما تظهر لنا · اما الارض فتظهر منه انها نجم من النجوم الصغيرة

« وقد ثبت انه يوجد في المريخ ابحار وانهار وجزائر · وفي قطبيه بقعة بيضاء تضيق في الصيف وتتسع في الشتاء فاستنتج العلماء من ذلك انها ثلج وهو الارجح · ومن مزايا المريخ ان العين المجردة تراه احمر اللون · وله قمران تابعان له كما يتبع قمرنا ارضنا اكتشفهما الدكتور آصف هال في سنة ١٨٧٧ وسماها نو بوس و ذيموس

« وقد ذهبت تصورات البشر في وصف سكان السيارات مذاهب شتى منها انهم قالوا انه لما كان ثقل الجسم في المريخ اخف من ثقله في الارض ثلاث مرات كما قدمنا ففي استطاعة سكان المريخ اذاً لخفتهم ان يثبوا في الهواء الى علو شاهق كما تثب الطيور وقال غيرهم ان الشقوق المستقيمة التي نُظرت في هذا السيار هي خلجان وترع مصنوعة صنعاً يدل على مهارة صناعها في علم الهندسة · ولذلك فكر بعضهم في ان يغرس في مساحة شاسعة في صحراء افريقيا اشجاراً من النخيل على اشكال هندسية و يضرم ناراً كبيرة حيناً بعد حين على موازاة خطوطها ليراها سكان المريخ فيعلموا من شكلها الهندسي ان هذه الارض ماهولة فيخاطبونا بمثل هذه العلامات »

رسالة واردة من المريخ

هذا بعض ما كتبناه عن المريخ في الجزء الثاني من هذه السنة في مقالة موضوعها السيارات وسكانها · وكأنه قد جرى شيء من توارد الخواطر بيننا و بين « اخواننا » سكان المريخ فانهم بعثوا الى الارض في الشهر الماضي برسالة على الطريقة التي مرَّ ذكرها واليك

البيان جدًا من غير هزل ولا مزاح

في ٨ دسمبر الماضي كان الفلكي الاميركي « دوكلاس » يرصد المريخ في مرصد فلكستوف من اعمال الولايات المتحدة فرأى بغتة في المكان الذي اجمع العلماء على انه بحار واسعة في المريخ نيرانًا شديدة متقدة على مسافة بضع مئات من الكيلومترات وذلك على خط مستقيم . وقد دام اتقاد هذه النيران ساعة وعشر دقائق ثم خمدت بسرعة كما اتقدت بسرعة

فاسرع الفلكي « دوكلاس » وابلغ هذا الامر الى مرصد هروارد فاوصله مرصد هروارد الى مرصد كييل ومنه انتشر وذاع في جميع المراصد الاوربية وقد قيده مرصد باريز الكبير في اللوح العمومي الذي اعتاد تقييد الانباء الكبرى فيه توجيهاً للانظار اليه فتلقته الجرائد الباريزية من هذا اللوح وافرغت في الكلام عليه جعبة تهكمها ومزاحها

اما الذين صدقوا هذا الامر فانهم اعتبروه رسالة يرسلها الينا اهالي المريخ ليروا جوابنا . وحجتهم على ذلك ان النور من نواميسه انه لا يتقد على شكل هندسي بل انه اذا اتقد ينتشر انتشارًا الى كل الجهات . فلو لم تكن توجد قوة مختارة في المريخ توقده بشكل هندسي لما كان هندسياً وقد قال هؤلاء المصدقون ايضاً انه لدى الاوربيين الآن فرصة شهرين لارسال الجواب الى اخوانهم سكان المريخ اذ ان وجه المريخ الذي حدثت الاشارة فيه لا يتحول عن الارض الا بعد انقضاء شهرين

على ان الاعتقاد بان في الاجرام السماوية اجرامًا ماهولة مثل ارضنا اعتقاد شديد الانتشار بين العلماء وحسبنا دليلاً على ذلك ان المجمع العلمي الكبير في باريز قد عين منذ بضع سنوات جائزة قدرها مائة الف فرنك لكل عالم يكتشف طريقة لمخابرة سكان الاجرام السماوية . بل لدينا برهان احسن من هذا البرهان وهو ما ذكرناه في ختام مقالة « السيارات وسكانها » التي ذكرناها آنفاً والتي بحثنا فيها في هذا الموضوع وهو قولنا « من البديهي ان يتصور الكتاب والعلماء وجود سكان في الاجرام السماوية . اذ من العبث والتجديف ان يقال ان العناية الالهية لم تضع الحياة الا في هذه القبضة الترابية التي اتخذناها مسكنًا لنا وابقت ملايين ومليارات الاجرام السابحة مثلنا في الفضاء بلا حياة تؤنس وحشتها وتعمر خرابها »

بقي الآن ان ننظر ماذا يكون جواب الفلكيين على هذا « التلغراف » الوارد الينا من المريخ . وقد قالت احدى الجرائد الاوربية متهكمة « ما ادرانا ان المريخيين (اهالي المريخ) لا يدهشوننا يومًا من الايام بهبوطهم علينا من علٍ ببالونات متقنة افواجًا افواجًا

ضاحكين مسرورين للقائنا وغير عابئين بالبرد الهارىء الذي يفصل بينهم و بيننا »

نقول واننا نسألهم اذا هبطوا هذا الهبوط الغريب ان يفتشوا لنا عن البيون وفالي واو ربا عرائس « الترانسفال ظالمة ام مظلومة » فقد غبن عنا في الفضاء الواسع منذ مدة ولذلك لم نكتب عنهن في الجزء السابق شيئاً ٠٠٠

صعود أمرأة الى المريخ

وقد تكلمنا فيما تقدم عن ورود « تلغراف » من المريخ الينا فلنتكلم الآن عن امراة تقول انها صعدت الى المريخ ٠

يذكر القراء اننا اشرنا الى هذه المراة في الجزء الاول من السنة الثانية فكان لكلامنا دهشة شديدة لدى بعض الذين لم ينعموا النظر فيه ٠ فاننا لم نقل ولا يمكن ان يقول عاقل ان بشراً صعد الى المريخ وانما قلنا ان امراة تنام نوماً مغنيطيسياً او تغيب عن حسها وتقول انها صعدت الى المريخ وتتكلم لغة تقول انها لغة سكانها وتصف بلادهم وملابسهم وهيئتهم ٠ وقد عثرنا الآن على تفصيل ذلك الاجمال مقتطفاً من الكتاب الذي نشره المسيو فلورنوى العالم البلجيكي الذي اختبر احوال المراة المذكورة آنفاً اختباراً دقيقاً وسمعها مراراً تقص قصة سياحتها ٠ وهذا ما راينا تلخيصه من ذلك الكتاب الذي سماه « سياحة من الهند الى المريخ »

تُدعى المرأة المذكورة « هيلانه سميث » وهي في الثلاثين من عمرها جميلة نبيهة قوية البنية نقية السمعة والصيت مستخدمة في محل تجاري في بلجيكا ولصاحب المحل ثقة كبرى بادبها وعقلها وحسن ادارتها

وقد كان هذا الوصف لازماً لنظهر فيه ان هذه المراة ليست بمشعوذة ولا كاذبة الا ان « هيلانه سميث » مع قوة بنيتها وجودة صحتها تصاب احياناً بنوبات شديدة في نومها فتنتقل بها من حالتها الاعتيادية الى الحالة الخصوصية التي سنصفها

فانها تجلس حول مائدة مع الناس الذين يطلبون مشاهدة حالتها ٠ فيسكت الجميع كأن على رؤوسهم الطير انتظاراً للحادث الكبير ٠ وبعد برهة تنام هيلانه سميث في جلوسها فيلبث الحاضرون صامتين ساكتين منتظرين

ولكنهم لا ينتظرون طويلاً ٠ فانهم على حين بغتة لا يشعرون الا وقد انطرحت هيلانه سميث علي كرسيها وفتحت عينيها باضطراب وهياج تنظر بهما فضاء الغرفة التي هي فيها والاشخاص والاشياء التي حولها ٠ فاذا امعن الانسان نظره فيها حينئذٍ علم انها غائبة

عن الحس وانها مع فتحها عينيها لا ترى شيئاً من الاشياء الواقعة تحت حواسها

وتبقى هيلانه في هذا الهياج والذهول ساعة او ساعتين وتكون متصلة بالحاضرين بواسطة واحد منهم تعي كلامه وتجيبه على سؤالاته . وهي تقول في هذا النوم الذي تنفتح فيه العين بدلاً من انطباقها اقوالاً مختلفة عن امور تراها او تشعر بها وهي في تلك الحالة مما سيرد تفصيله . ومتى انتهت نوبتها عادت فاطبقت جفنيها واستغرقت في نوم طبيعي عميق . ومتى انتبهت من هذا النوم الطبيعي لم تذكر شيئاً من كل ما راته او قالته في النوم الاول الغريب

ولنفصل الآن ما تقوله في نومها . فانها تتكلم فيه عن خمسة امور . الاول انها تعتقد بوجود « روح » يُدعى « ليو بولد » وهي تعتبره مرشدها وحاميها فتتكلم عنه ما شاءت

والثاني انها تحسب ان « كاليوسترو » الطبيب والمشعوذ الشهير الذي ذكرنا خلاصة ترجمته في الصفحة التاسعة من رواية نهضة الاسد الجزء الثاني يتجسد فيها فتاخذ تقلد حركاته وسكناته واقواله تقليداً ينطبق كل الانطباق على ما هو مشهور عن ذلك الرجل . ولا تجيب الا اذا لُقبت كاليوسترو لانها تعتقد حينئذ بانها اياه . ويكون كلامها حينئذ برزانة وهيئة خطيرة وتتخذ لهجتها لهجة الرجال

والثالث انها تحسب نفسها الملكة ماري انطوانت زوجة لويس السادس عشر فتقلدها

والرابع انها تحسب نفسها الاميرة الهندية " سيمانديني " التي كانت ابنة شيخ عربي وتزوج بها الامير " سيفروكا " الهندي الذي كان حاكماً على كناره وبنى في سنة ١٤٠١ حصن تشندر كويري

وهي في هذه الحالة تعمل اعمالاً غريبة . فانها تتكلم العربية واللغة السنسكريتية لغة الهنود المقدسة وترقص رقصاً هندياً وتجلس على ركبتيها على الارض كما يجلس العرب والهنود وتلاعب قرداً تتصورانه معها ملاعبة في غاية الخفة والرشاقة وتنشد اناشيد رخيمة غريبة والعجيب في ذلك كله ان هذه المرأة حين انتباهها من هذا الذهول لا تعرف كلمة من اللغة العربية والسنسكريتية ولا تدري شيئاً من جلوس العرب والهنود واناشيدهم واصطلاحاتهم التي تكون قد اتتها في نومها . وزد على ذلك انها تجهل القراءة والكتابة حتى في لغتها

ماذا رات في المريخ

ولكن الاغرب من ذلك كله ما تقصه في نومها من سياحتها في المريخ وهذه خلاصته

صعدت هيلانه سميث الى المريخ في المرة الاولى التي نامت فيها نومها الغريب . فانها



تصور المسيو رولف الفلكي الالماني ان طول الواحد من سكان المشتري ٥ أمتار وطول سكان نبتون ٥٧ مترًا ٠٠٠ وفي هذا الرسم صورة ثلاثة اشخاص من سكان المشتري و بجانبهم رجل من جنسنا نحن البشر الاقزام وهم يضحكون منه لقصر قامته ولغرابة هيئتـه عندهم

رأت لاول وهلة نورًا ساطعًا امامها ثم اخذت تشعر بانها طائرة وان جسمها يتمايل و راسها فارغ وانها تصعد بلا جسم الى اعالي الفضاء ٠ وبعد مدة يسيرة رات ثلاثة اجرام كبرى بينها جرم اشد لمعانًا من الآخرين ٠ فسالت هيلانه سميت "على اي شيء امشي الآن" فسمعت من يجيبها بقوله " انك تمشين على ارض المريخ "

فابتدأت هيلانه حينئذ تصف ما تراه في تلك الارض

فاسهبت في وصف مركبات تسير فيها بلا خيل ولا عجلات ولكنهـا تزحف زحفًا والشرر يتطاير من تحتها ٠ وذكرت آلات للطيران يطير بها اهالي المريخ ومنازلًا في سطوحها نوافير من الماء واولادًا يرقدون في اسرة حديدية عليهـا تماثيل حديدية مجنحة واناسًا يتكلمون لغة غريبة لا تعرفها

ولكنها ما لبثت ان تعلمت هذه اللغة التي هي اللغة المريخية وصارت تقرأها وتكتبها فتناولت قلمًا وخطت على القرطلس كلمات غير مفهومة بلغة مجهولة ٠ وقد زارت هيلانه في بعض المرات التي نامت فيها حاكم المريخ واسمه " استانه " ٠٠٠٠ فذهب بها الى عيد عظيم احتفل به المريخيون فابصرت في طريقها حيوانات غريبة الشكل بعضها يشبه النقمة ٠ اما الاشجار في المريخ فان منظرها احمر اللون للاثمار التي عليها واما او راقهـا فسوداء ٠ ولما



كتب الكاتب فونتنل في سنة ١٧٥٠ كتاباً عنوانه «سياحة في السيار عطارد» قال فيه ان جميع سكان هذا السيار مجانين من شدة فعل حرارة الشمس فيهم لقربهم منها . وهم مخلوقات باجنحة يطيرون بها في الفضاء كالطيور وفي وجوههم لوائح الجنون وعدم الاكتراث كما في هذا الشكل

وصلت هيلانه سميث الى الحفلة رات اهالي المريخ رجالاً ونساء بنات وشباناً في انس وابتهاج . وكانت البنات مرتبات شعورهن على شكل اجنحة فراشة بلون وردي او ازرق او اخضر . ومما وصل استانه حاكم المريخ الى الحفلة حتى اشار اشارة فبادر الجميع الى الجلوس حول مائدة مزينة بالازهار وعليها خادمان واحد يلبس لباساً وردياً والثاني يلبس لباساً ابيض لخدمة الجالسين . ولما جلس المدعون تقدم الخادمان ووزعا عليهم صحافاً مربعة وسكاكين بلا مقابض . ثم جاءا بطعام غريب وهو قضبان بعضها وردي اللون وبعضها ابيض وفي رؤوسها ازهار لذيذة الطعم . فاكل المريخيون بلذة واشتهاء ثم انتهت الحفلة باناشيد حفظت منها هيلانه النشيد التالي باللغة المريخية وهذه ترجمته

« كوني سعيدة باسيكيه . فقد جاء العصفور الاسود الصغير . وقرع امس نافذتي .
« فسرت نفسي وانبسطت . وقد سمعته يغني . اما انت فستسمعينه غداً »

« يا ماتان . يازهرة تحبب اليَّ الحياة . يا شمس احلامي . تعالَ هذا المساء . تعالَ
« وامكث طويلاً عندي . وكن سعيداً »

هذا بعض ما قصته هيلانه في نومها عن المريخ وسكانه . وكلما نامت تقص مثله

بزيادة او نقصان ولكنها لا تنقض حرفاً واحداً منه ولا تقول في نومها كلمة تعاكس ما قالته في نومها قبلاً . وقد حاول بعضهم مغالطتها بهذا الشان فاصرت على قولها الاول ولم تغلط

انفي ذلك غرابة

والآن بعد ما علمناه عن هذه المراة لا يسعنا الا ان نتساءل ونقول : هل في هذا الامر غرابة

وجوابنا على ذلك . نعم . في هذا الامر غرابة . ولا . ليس فيه من غرابة

اما الامر الثاني فهو ان جميع ما ابصرته هيلانه في المريخ ينطبق على معيشة البشر في الارض ففي الارض حكام وفيها اعراس ومآدب ورقص ونشيد وفيها حيوانات كالفقمه واشجار خضراء وحمراء . فما الذي يدل في كلام هيلانه على انها صعدت الى المريخ وانها لم تكن تهذي هذياناً في كل ما وصفته قياساً على ما شاهدته في الارض . اما اللغة المريخية فقد حللها العالم البلجيكي المذكور فاذا بها تحتوي على احرف بعدد احرف اللغة الفرنسوية التي تتكلمها هيلانه سميث . وهي قريبة منها

وفضلاً عن ذلك فان هيلانه ولدت من ام كانت تصاب بنوبات هستيرية وهي نفسها مع ذلك هستيرية منذ صغرها اي انها اصيبت منذ اول عمرها بنوبات شديدة

واما قولنا ان في هذا الامر غرابة فلانه يدل دلالة كبرى على وجود شخصين مستقلين في جسم الانسان . الاول شخصه الاعتيادي الذي يروح ويجيء ويعمل ويشتغل في اوقات صحوه والثاني شخص مستقل عن الشخص الاول لانه يفتكر ويتصور ويتكلم ويعي خارجاً عنه ومن غير واسطته . وهو ما يسمونه الانسان المزدوج . وهذا الازدواج دليل من ادلة الروحيين على الماديين الذين ينكرون النفس والخلود

على ان كل ذلك من سوء الحظ لا يثبت وجود سكان في المريخ ولا ينفيه . فنحن معه ومع تلغراف سكان المريخ كما كنا بدونهما

وقد اجبنا في باب الاسئلة والاجوبة في هذا الجزء على سؤال ذي علاقة بهذا الموضوع فنرد القارىء اليه ونختتم الآن هذا الفصل فقد طال اكثر مما اردنا

رواية الحب والخداع

رد على انتقاد

لحضرة الكاتب الفاضل صاحب التوقيع

حضرات صاحبي الجامعة الفاضلين

جاء في العدد ١١ و١٢ من الجامعة كلمة لحضرة الاديب ذاكي افندي مابرو انتقد فيها رواية الخداع والحب انتقاداً شدد فيه النكير على معربيها . ولما كان في انتقاده مآخذ للاعتراض جئنا بهذه الاسطر نرجوكم درجها ليعلم حضرته اننا ممن يحافظون على كرامة المؤلفين ويحرصون ما امكن على حفظ الاصل في تعريب كتاباتهم . واننا في نقل هذه الرواية عن شيللر لم نشوه محاسنها الاصلية ولم نهدم عمل المؤلف او نستبد فيه الى غير هذا من التهم التي رمانا بها حضرته سامحه الله كما نسأله ان يسامحنا

اول ما آخذنا به حضرته جعلنا الوزير ولتر يتفق مع المارشال على حيلة الرسالة التي تتظاهر فيها لويز بخيانة حبيبها مع ان ويرم الكاتب هو الذي نصب الفخ الخ .. ولا نعلم كيف اتصل الى هذه النتيجة لانه لو قرأ المشهد الاول من الفصل الثالث لرأى فيه ان ويرم هو الذي دبر الحيلة وليس المارشال فليراجع صفحة ٤٠ حيث يقول ويرم في حديثه مع الرئيس : « الآن ننصب لماجور حبائل المكر ونسلك مع الفتاة سبل التحكم والامر وبنفوذك نرغمها على كتابة رسالة حبية الى شخص ثالث وهذه الرسالة نحتال على ايقاعها في يد الماجور الخ ... » وفي هذا الكلام من الجلاء والوضوح ما لا يحتمل اللبس . والظاهر ان حضرته لم يطالع الرواية بل قرأ نتفاً منها فرأى شيئاً وفاتته اشياء . ثم انه اورد قطعة كاملة من ترجمتنا (صفحة ٧٢) زاعماً انها تاليف لا تعريب واردفها بقطعة اخرى من ترجمته مدعياً انها هي الترجمة الصحيحة وهكذا فعل في انكاره علينا ايضاً ما ترجمناه صفحة ٨٤ ونحن في كلا الموضعين لم نستكتب شيللر شيئاً من عندياتنا كما ظن ولكن يظهر ان النسخة التي بيده وهي ترجمة ديماس مقتضبة بخلاف النسخة التي اخذنا عنها وهي رنييه .

ولزيادة الايضاح نورد هنا الترجمتين . قال حضرته وهو قول فرنند يخاطب المارشال الذي يسترحمه ان يبقي عليه : « بل انا اعلم لماذا تتمسك باهداب الحياة . ذلك لان بك تدوم تلك الطغمة اللعينة التي تحوم حول الامراء فتسبب لهم اللعنات من الرعية ...

ولعل للعناية الالهية بذلك قصداً خفي عنا وراء حجب الاستقبال » وفي ختام هذا الكلام: اجل لا بد لميزان هذا الكون ان تتوازن كفتاه : فلا بد اذن من وجود الافاعي والمدلسين المنافقين بازاء القوم الكرام اصحاب النفوس الابية . فليحذر المملق المنافق ان يزحف الى حبي وليحذر الافعوان ان ينفث سمه على ازهاري والا فاني اسحق المملق والافعوان تحت اقدامي »

وهاك ما عربناه عن النسخة التي بيدنا في الموقف نفسه :

« انت ايها الابله ولماذا .. » الى آخر القطعة التي اوردها في الجامعة وزعم انها مما عنّ لنا تاليفه . ثم : « اجل هذا هو الانسان ابن الاوجاع وكما وجد لليوم السادس من خلقته .. كأن يداً بشرية اقدمت على تقليد جبلة الخالق .. يالها من خسارة . يعز عليّ ان ارى هذه الكمية من الدماغ الموضوعة في هذه الجمجمة تذهب ضياعاً وهي لو وجدت في راس ادنى الحيوانات لرفعته الى مصاف البشر . ومع ذلك لم تانف من ان تملكه فؤادها »

ثم يقول : « فليبقَ على حاله . فالرفق بالدودة الصغيرة لا بد ان ينفعها . يقابلونها بهزّ الاكتاف هزاً ولربما اعجبوا بحكمة الخالق في تدبيره واقتصاده اذ خلق ايضاً من الناس من يأكل بقية الطعام ويشرب ثمالة الكاس .. من يدري ربما اخذهم العجب بتلك الحكمة اذ اوجد الخلاق ايضاً عقارب وافاعي تنفث سموم الشر في العالم العقلي ولكن حذار ايتها الحشرات ان تزحفي فوق ازهاري والا سحقتك هكذا (يهز كتف المارشال) ومزقتك شذر مذر »

فلو صبر حضرته وقرأ هذا الخطاب لادرك ان النسخة التي بيده مقتضبة لان كل ما ذكره موجود في ترجمتنا بالتطويل وهذا ما يحملنا على الظن ان النسخة التي بيدنا اقرب الى الاصل من النسخة التي اخذ عنها

ثم انتقد علينا ابدال كلام فرنند عند مراى لويز متاثرة : صفراء ولا اصفرار الموت بقولنا : « هذا هو وجهها الحقيقي دعني اقبله .» وان ما انطقه به المؤلف هو : « اه ياشقية لم يعد يسعك الانكار بعد الآن »

فتعجبنا شديداً لتباين معنى الجملتين ونفور الثانية عن مقامها وعدم مطابقتها مقتضى الحديث كما يتبين من قراءة ما قبل الجملة وما يليها . وللبيان نورد هنا القطعة بكاملها

فرنانند ... صفراء ولا اصفرار الموت .. هكذا احب ان ارى ابنتك يا رجل . فما

ظهرت لي ابداً بمثل هذا الجمال · تلك البنت التقية الفاضلة · اه يخال لي ان اليوم الاخير الذي تمزق لفحاته براقع الرياء قد نحاعن وجهها ذلك الخضاب الذي خدعت به هذه الساحرة حتى ملائكة النور · اه ما اجمل هذا الوجه الآن اجل هذا هو وجهها الحقيقي دعني اقبله

فيقول ابوها : « مكانك ابتعد عنها · لم اقدر ان احميها من مغازلاتك ولكني اقدر ان ادفع عنها اهاناتك »

فمن اين اتى بتلك الجملة · واي دخل لها هنا · ام كيف يصح ان ينطبق ما اورده على فكر المؤلف ويفسره هذا التفسير

اما بقية « الامثلة الكثيرة على الابدال التي ضرب عنها صفحاً خوف التطويل » فلا نظنها الا نتيجة اختلاف الترجمتين اذ نحن على ثقة اننا لم نغير شيئاً من افكار المؤلف ولا من معانيه الا ما كان منها بعيداً عن روح اللغة التي ترجمنا اليها غريباً عن المالوف فيها ولا نعلم بما نجيب حضرته على ما عابه علينا من حذف مشهد العقد · فكأنه نسي رعاه الله ما يجب على الكاتب مراعاته في البلاد التي طبعنا فيها روايتنا وفاته ان سوريا ليست مصر وان ما يكتب في الاسكندرية لا يكتب في بيروت ؟ سامحه الله ايضاً هذه المرة لانه لا يعلم ماذا يقول

وقد زعم اننا حذفنا حديث الرئيس وورم في الفصل الثالث الذي فيه افتضاح سر توصل الرئيس الى الرئاسة مع اننا ذكرناه صفحة ٣٩٥ فليراجع

اما السبب في ابدال مقدمة الفصل الرابع بخاتمته فلا نظنه خافياً على حضرته · وقد اضطررنا الى هذا الابدال اولاً مراعاة للذوق العمومي عندنا وثانياً اختلال الترتيب في وضع المشهدين لان من المالوف في الروايات استبقاء المشاهد الشديدة للختام رغبة في تشويق السامع ومحافظةً على التاثير · فضلاً عن ان نقل المقدمة الى الخاتمة في روايتنا يطابق كل المطابقة سير الواقعة في مجراها الطبيعي اذ لا يخفى ما في ذلك من التحام هذا المشهد مع ما يليه في الفصل الخامس · افبعد هذا لا يجد حضرته مسوغاً لهذا القلب ؟

واشد لوم كان هو لابدالنا ختام الرواية وجعلنا فرننند يلعن اباه ويدعو عليه مع اننا في هذا المشهد خصوصاً لم نتصرف ادنى تصرف بل عربناه حرفاً حرفاً واذا كان حضرته في ريب فما له الا ان يقابل بين ترجمتنا والنسخة التي اخذنا عنها فيتحقق اننا لم نرتكب ما ينكره علينا شيللر ولا الادب

وعلى كلٍّ فاننا نشكر حضرته لغيرته على الاداب ونعذره اذا لم يكن مصيباً في انتقاده لان النسخة التي بيده خلاف النسخة التي نقلنا عنها فلا لوم عليه من هذا القبيل وانما نلومه على تسرعه في الحكم واتهامه ايانا بحذف جمل ومشاهد هي في الواقع موجودة لم تفته لو كانت مطالعته مرتبة وعلى ما يظهر ان حضرته لم يقرأ من الرواية الا بعض صفحات متفرقة وهذا ما لا يغتفر للمنتقد المدقق اذ يكون انتقاده والحالة هذه على غير روية ولا هداية بمثابة ولد دخل حديقة وذاق من ثمر اول شجرة صادفها فوجده غير ناضج فاعرض عن البقية وحكم على كل اثمارها بانها غير ناضجة · وهو لو قطف من غيرها لوجد عكس ما يظن

بيروت عن المعربين

نجيب نسيم طراد

القرن العشرون

وماذا عمل القرن التاسع عشر

احتفل الالمانيون منذ بداية العام الماضي بانتهاء القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين · فودعنا معهم يومئذٍ القرن التاسع عشر وداعاً يجدر ان نعيده الآن توديعاً مع المودعين

⁂

يصدر هذا الجزء من الجامعة بعد انتهاء القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين · فوداعاً ايها القرن الراحل وسلاماً ايها القرن القادم · لقد نزل الاول في مهاوي التاريخ وطلعت غرة الثاني طلوع مولود جديد على الوجود · فمباركٌ هذا المولود

وقد جرت عادة قدماء المصريين انهم عند موت ملوكهم يجتمعون فيتبادلون اراءهم في الساحات العمومية بشأن الملك الراحل عنهم منتقدين حكمه واعماله ذامين منها ما يوجب الذم ومثنين على ما يوجب الثناء · والقرن التاسع عشر هو الآن منا بمثابة ميت فليس يخلو من فائدة ان ننظر في اعماله وما تم في عهده من خير وشر

ولسنا نصرف الفكر الى الامور المادية فقط فنجعل الكلام مقصوراً على تاريخ الاختراعات العظيمة التي اخترعت في هذا القرن والاكتشافات العجيبة التي اكتشفت · كلا فان هذه

الامور المادية ليست الاثمرة حياة هذا القرن الادبية . لذلك ننظر في اعماق هذه الحياة الادبية ليكون كلامنا شاملاً جميع انفاس القرن التاسع عشر . وتوصلاً لذلك نقسم الكلام الى ثلاثة اقسام : كلام على عالم السياسة . كلام على عالم العلم . كلام على عالم الادب . فنقول

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر السياسية ﴾ وُلد هذا القرن على لهيب الثورة الفرنسوية ومدافع نابوليون يدوي صداها في الجهات الاربع . وقد كان من تاثير هذه الثورة انها وضعت اساس الحرية في العالم على اسس ثابتة لا تتزعزع وفتحت عيون الامم في الشرق والغرب فكأن تلك الشعلة التي احرقت فرنسا حيناً من الزمان قد انارت الدنيا باسرها

لخفت بعد ذلك وطأة الاستعباد وخاف الملوك سوء المنقلب فاصبحوا يعتبرون الرعية ابناء لهم لا خداماً وعبيداً يسومونهم ما تسام الانعام من الذل والحيف . وسقطت الحواجز العظيمة التي كانت بين الطبقات فاصبح الشريف شريفاً بادبه لا بنسبه وتساوى الناس لدى القانون ومذ تساووا عرفوا انهم اخوان بعضهم لبعض لا خصوم واعداء . ثم اتسعت حلقة هذا الاخاء بحكم الناموس الطبيعي و بواسطة مبدأ الحرية والمساواة الذي تقرر في العالم . فقال الشارعون اذا كان من حقوق الفرد ان يكون حرّاً مساوياً لغيره في الحقوق والواجبات وجب ان يكون الشعب كذلك فنشأ عن هذا القياس الصحيح حق كل امة في الاستقلال والمساواة . فاسقطت عن اعناق الامم نير العبودية السياسية كما اسقط عن اعناق الافراد نير العبودية الاجتماعية . فكان ذلك منشأ ثورات شديدة زُعزعت لها اسس الارض وانكسرت فيها قيود امم كثيرة فاصبحت حرة مستقلة تحت قبة السماء

ولا ريب ان عمل القرن التاسع عشر من هذا القبيل ناقص نقصاً عظيماً . ولكنَّ هذا القرن عمل كل ما كان يستطيع عمله . واذا لم يكن له من فضل غير المناداة بالحرية والمساواة للافراد والشعوب لكفى بذلك فضلاً على القرون الخالية . ولكنه لم ينادِ بذلك فقط بل اعطى الافراد والشعوب قوة توصلهم الى اغراضهم اذا راعوا النواميس الطبيعية واتبعوها بلا افراط ولا تفريط

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر العلمية ﴾ وقد كان لاعماله السياسية تاثير عظيم على اعماله العلمية . ولا نقول ان العلم كان غير موجود قبله فان اهم اسس العلوم الطبيعية لم

توضع في القرن التاسع عشر بل قبله . ولكن امتاز القرن التاسع عشر بكونه اطلق العقول من القيود وهدم الحواجز القوية التي كانت تحول دون نموها وتقدمها . وقد روى الفيلسوف جول سيمون ان التعليم في فرنسا كان في القرن الثامن عشر وما قبله محصوراً في طبقات الاشراف والوسط في حين ان جمهور الشعب كان في ظلام من الجهل والغباوة . وقال هذا الفيلسوف مستشهداً على فضل هذا القرن " انني الآن اشغل مقاماً من اسمى مقامات بلادي (عضوية مجلس الشيوخ) ولكنني لولا الثورة الفرنسوية التي اطلقت قيد العقول لكنت الآن اما صاحب صناعة يدوية في قريتي او عضواً في احدى الجمعيات الاكليريكية "

ومن نتائج هذا الاطلاق الذي اشار اليه الفيلسوف عناية الحكومات بابناء عامة الشعب كما تعنى بابناء خاصته . وهذا منشأ التعليم الالزامي المجاني الذي اتبعته الامم الغربية مع انه لم يقم احد بعد الى الدعوة اليه في البلاد الشرقية

وقد وضعنا التعليم الالزامي في مقدمة اعمال هذا القرن العلمية لانه في نظرنا اهمها كلها . نعم لا ينكر احد تقدم العلوم الطبيعية الى حد غريب . فقد قاست هذه العلوم مساحة الفضاء . وعرفت مادة الكواكب . واخترعت المركبات البخارية في البر والبحر . واوجدت التلغراف فقصرت به وبالسفن المذكورة آنفاً شاسع المسافات واختصرت الابعاد ومزجت العالم بعضه ببعض مزجاً مفيداً . لقد اكتشفت المكروبات فدفعت عالم الجراحة والطب الى الامام دفعاً شديداً . لقد اتت من الاكتشافات والاختراعات ما لو قام اجدادنا اليوم من قبورهم ورأوه لحسبوا انفسهم انتقلوا الى عالم الف ليلة وليلة او ظنوا ما يرونه سحراً مبيناً — كل ذلك نعرفه ونعجب به . ولكن يعجبنا اكثر منه كله ذلك المبدأ السامي الذي اجمعت عليه في هذا القرن اكثر الامم الغربية . ونريد به : التعليم المجاني الالزامي لخاصة الامة وعامتها

فبارك الله فيك ايها القرن الراحل على هذا العمل العظيم الذي عملته وذلك المبدأ السامي الذي اقررته . فانه اذا لم يكن لك في عالم العلم الا هذا الفضل لكفى ان يعلي بين القرون شانك ويخلد اسمك

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر الادبية ﴾ واهم اعمال القرن التاسع عشر الادبية عتق الرقيق . فقد كان الانسان الظالم يشتري في القديم ويبيع اخاه في الانسانية

والحكومات ساكتة والفلاسفة وعلماء الاداب لا يحرمون هذه التجارة المنكرة · وقد شهد ارسطو وافلاطون في زمانهما عذاب الرقيق ولم تتحرك احشاؤهما حنوًا عليه بل ان ارسطو نفسه كان له عبيد وارقاء · وقد لبث العالم في هذه الخشونة والهمجية حتى جاء القرن التاسع عشر فحرم ان يتاجر الانسان باخيه الانسان · وهي احدى بركات القرن وخيراته

ومن هذه البركات ايضًا ارتقاء الادب السياسي · فانه قد مضى الزمان الذي كانت فيه المدن والمقاطعات تباع وتشرى بين الحكومات كانها انعام سائمة · وانقضى ايضًا ذلك الجنون السياسي الذي كان في العصور الخالية وهو جنون الفتوح وحب الاستيلاء فقلت الحروب وارتقت اسبابها واصبح كلٌّ من المتحاربين يدعي انه مضطر اليها ومُدافع لا مهاجم فيها · فظاهرٌ من ذلك انه قد مضى في السياسة دور الهجوم والافتخار بالحرب وجاء دور الدفاع والافتخار بالسلام

وماذا نقول عن ذلك النور السماوي الذي خفق هنيهة في العالم على يد القيصر العظيم نقولا الثاني امبراطور روسيا · لا ريب ان اقتراح القيصر عقد مؤتمر السلام في لاهاي قد كان بمثابة تتويج ادبي لهذا القرن · واذا كان هذا المؤتمر لم يات بِثمار عاجلة فانه سيأتي بثمار آجلة · وسيبقى هذا الاجتماع الذي عقدته الامم في لاهاي وتصافحت فيه عناصر الانسانية كلها تحت انظار ويلهلمين الفتاة ملكة هولاندا — سيبقى هذا الاحتفال اكبر عمل ادبي عملته الانسانيه في القرن التاسع عشر وفي القرون الماضية

ومن اعمال هذا القرن الادبية ايضًا صرف الحكومات شيئًا من عنايتها الى الضعفاء والتعساء ومنع العقاب من غير محاكمة وحرية الدفاع والميل الى منع الاعدام اي التحريم على الانسان قتل الانسان · وكذلك تخفيف مصائب المجرمين باعتبارهم مرضى في عقولهم يجب مداواتهم بتحسين احوالهم وتعو يدهم وهم في السجون العمل السهل المفيد لابدانهم وعقولهم · وتخفيف و يلات الحروب وفظائعها بقوانين دولية مرعية وانشاء المستشفيات العمومية والملاجئ الخيرية للشيوخ والاولاد وتاليف لجان وجمعيات لتربية الايتام واللقطاء الذين لا ذنب لهم غير ولادتهم

ولا نعلم في اي قسم نضع تلك الحركة الاقتصادية الغريبة التي امتاز بها الربع الاخير من القرن التاسع عشر · أفي جملة الاعمال السياسية ام العلمية ام الادبية · ولكن نرجح وضعها في قسم رابع نفرده لها ونسميه « اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية »

فان الحركة الكبرى التي تغلبت على جميع الحركات في نهاية هذا القرن هي الحركة

الاقتصادية التي سببتها الحركة الاجتماعية وجهاد الشعوب في هذه الحياة وتنازعها البقاء وتباريها في حلبة التجارة والصناعة والزراعة حتى ان الدول اصبحت ولا همّ لها الا المسائل الاقتصادية واذا خيف من شبوب نار حرب بينها فانما يكون سببها المسائل الاقتصادية لان دور تنازع السلطة بينهن قد مضى وجاء دور التنازع على الامور الاستعمارية التي بها تتعلق المسائل الاقتصادية والتجارية

ومن اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية استفحال امر الاشتراكيين استفحالاً نفع المبادىء الديموقراطية وافاد ضعفاء الامم افادة تذكرلهم بالشكر من هذا الوجه بصرف النظر عن الاوجه الاخرى وتفصيل ذلك يطول ايراده فنكتفي بهذا البيان

***

هذا اهم ما رأينا بسطه عن اعمال القرن التاسع عشر . وكله حسن نافع مفيد يستحق عليه القرن ثناء ابنائه وثناء الاجيال الآتية

ولكن بازاء هذه الجوانب اللامعة البراقة التي اظهرناها للقراء الا يوجد جوانب اخرى سوداء مظلمة ؟ الا يوجد للقرن التاسع عشر سيئات بازاء هذه الحسنات ؟

لقد اقدم هذا القرن على حل مسائل لا قبل له على حلها كلها دفعة واحدة . فقد اطلع شمس الحق على الناس فانفتحت لاشعتها الباهرة عيون الكبير والصغير فكانت للكبير بمثابة النور من الخفاش وكانت للصغير بمثابة النار من الفراش . وهكذا بالرغم عن اشراق هذه الشمس بقي الكبير معربداً شامخ الانف والصغير مدوساً مسحوقاً اليس هذا الذي تقوله الآن مدافع الانكليز والبوير في افريقيه الجنوبية

لقد ارتقت في هذا القرن الاداب السياسية ولكن انحطت الاداب الشخصية . فان الشر ينمو بنمو التمدن والرذائل على انواعها تتكاثر بتكاثر الثروة وتزداد بازدياد اسباب المدنية . فالكذب والرياء والخداع والاضرار بالناس والاحتيال لسلبهم وغشهم — كل ذلك اصبح في القرن التاسع عشر امراً شائعاً مقبولاً وربما لُقب صاحبه بالمهارة والدهاء وحسن السياسة . الفجور — وافظيعتاه — قد اصبح مباحاً ويكاد يكون شرعياً . المسكرات تقتل في بعض البلاد ٧٥ في المئة من سكانها . الجرائم والجنايات تملأ السجون بالاشقياء . المبادىء الدينية تضعف وتنحلّ شيئاً فشيئاً . الفضيلة تخفض جنحيها بازاء الرذيلة . الشعوب لا تزال تتخبط في ظلام الجهل وليس لها خبز تغذو به ابدانها وتعليم تغذو به عقولها . الحياة اصبحت فوضى لان هذا القرن اعطى الانسانية قوة الدفع ولم يعطها قوة الجذب . اعطاها

الحرية ولم يعطها الاخاء والمحبة · فتنافرت القلوب واختلفت الاهواء وقام الناس بعضهم على بعض باسم الحرية والدين والحرية الحقيقية والدين الصحيح براء منهم ومما يفترون · وفي وسط هذه الحياة الزوبعية الهائلة التي نشأت في هذا القرن انقلب ميزان الانسانية وفقدت الهيئة الاجتماعية قيادة قوادها لان كل فرد منها اصبح قائداً مستقلاً بنفسه · اصبحوا كالبصل كلهم رؤوس كما قال الفيلسوف جول سيمون · فتامل هذه الحياة الجديدة وسرعة انقلابها وشدة خطرها بازاء الحياة القديمة الهادئة و بساطة المعيشة فيها وقناعة اهلها وتسليمهم و رضاهم باحوالهم

ولكن القرن التاسع عشر لا يستحق اللوم الشديد اذا كان لم يحلّ جميع المسائل التي اقدم عليها فانه لكثرة هذه المسائل ناء بها ورزح تحتها بعد ان حل ما حله منها · فاملنا الآن موضوع فيك يا ايها القرن العشرون · كن للانسانية خيراً من اخيك القرن التاسع عشر · لا تسمح ان يحدث فيك ما حدث في اخيك من السيئات وكمل كل تلك الحسنات·

اسحق بفاس العقل والادب والدين جراثيم الشر والفساد والرذيلة التي ظهرت في القرن الماضي اخيك ومهد للانسانية طريق السعادة التي تنشدها فانها قد تعبت في طلبها دون ان تدركها · حتى اذا اكملت عملك واتممت اجلك وقف ابناؤنا في ختام ايامك الآتية وقالوا مؤرخين اعمالك : مبارك القرن التاسع عشر على ما عمل · ومبارك القرن العشرون على ما اكمل

فسر بامان وسلام يا ايها القرن العشرون

باب التربية والتعليم

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم الزاميا

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

فلسفة الحكيم تولستوي ومبادئه

واحتجاجه على الهيئة الاجتماعية

كتاب في مقالة نهديها الى جمهور المعلمين والمتعلمين وكل ذي عقل سليم

اشهر واحسن الكتب التي الفها الفيلسوف الشهير الكونت لاون تولستوي الروسي الذي حرمه المجمع الروسي المقدس في اواخر العام الماضي ولخصنا ترجمة حياته في الجزء السابع هو كتاب «البعث» او القيامة الذي كان له في اوربا واميركا دوي عظيم · وقد لخصنا هذا الكتاب الاجتماعي الفلسفي البديع في المقالة التالية لاطلاع القراء على حقيقة مبادىء عظيم الروس في هذا الزمان · ونحن نتمنى ان يكتب الينا كل واحد من القراء بما يشعر به ويخطر له حين قراءة هذه المقالة التي اذا علم اننا طالعنا من اجلها في اقل من اسبوع كتاباً عدد صفحاته ٥٩٣ صفحة بالحرف الصغير مع ما لدينا من الشواغل الكثيرة علم مقدار التعب الذي بذلناه فيها خدمة للقراء وطلباً للفائدة · ونحن نفتخر بان نكون اول من شرع في اخراج فلسفة الحكيم تولستوي الى اللغة العربية ونعاهد القراء بان لانضن عليهم بنقل كل ما نعثر عليه من اقوال هذا الرجل العظيم · اما الآن فلنشرع في تلخيص هذا الكتاب

فاتحة الكتاب

افتتح تولستوي كتابه بهذه المقدمة

« عبثاً يحاول بضع مئات من البشر المتراكمين بعضهم على بعض في مكان ضيق تشويه الارض التي يعيشون عليها. عبثاً يسحقون تربتها بالحجارة حتى لا ينبت فيها نبات. عبثاً يغيرون الهواء برائحة البترول والفحم الحجري . عبثاً يقطعون الاشجار . عبثاً يطاردون الحيوانات والطيور . عبثاً يصنعون كل ذلك فالربيع في المدن لا يزال ربيعاً : الشمس فيه تزداد اشراقاً . والنبات تدب فيه روح الحياة لا في جوانب الشوارع الكبرى فقط بل بين بلاط الطرق ايضاً. وكذلك الاشجار والازهار والطيور وسائر المخلوقات التي تسر وتبتهج باشعة الشمس المحيية . كلها تكون مسرورة مبتهجة في الربيع الا الانسان . الا الانسان الذي يستنكر جمال تلك الامور الطبيعية المقدسة ولا يرى جميلاً غير ما يضعه ويتصوره من الامور التي يغش بها بعضه بعضاً ويعذب بعضه بعضاً

وهكذا كان في سجن الحكومة في ٢٨ افريل الجاري فان رجال السجن لم يروا صبيحة ذلك اليوم الربيعي امراً جميلاً مع روائه ورونقه ولكنهم رأوا ان الجميل الجدير باهتمامهم والتفاتهم هو ورقة وردتهم عشية هذا اليوم مزينة بختم ونمرة وبعض عنوانات . وفي هذه الورقة امر من ادارة السجن بارسال امرأتين ورجلاً من المسجونين فيه لاجل المحاكمة»

خلاصة القصة التي في الكتاب

ومن هنا ابتدأ تولستوي قصته . فاخذ رجال السجن المراتين والرجل الى المحكمة . وكان اسم احدى المراتين « ماسلوفا » وعليها مدار الكتاب كله . ولما عزمت هذه المراة على الخروج من السجن اوصاها بعض رفاقها بان تنكر كل شيء وتتنصل من كل شيء فاجابته « سيان لديّ الامران فانهم اذا حكموا عليّ فلا اعيش عيشاً اسوأ من عيشي الآن »

ولما دخلت الماسلوفا الى قاعة المحكمة كان القضاة ينتظرونها وفي جملتهم امير يُدعى نكلودوف . وكانت ماسلوفا متهمة مع رفيقتها ورفيقها بانهم قتلوا تاجراً من سيبيريا وسرقوا ماله . وبيان ذلك بالاجمال ان ماسلوفا كانت من « بنات الهوى » وكانت مستخدمة لذلك الغرض القبيح في بيت تديره امراة المانية لهذه الغاية . فاحبها التاجر الروسي المذكور وانفرد بها في الغرفة التي كان نازلاً بها فارادت التخلص منه فاغراها بالهدايا لتبقى عنده . فغافلته ووضعت له في كاس كونياك شيئاً من حنجور اعطيته وهي تحسب ان فيه افيوناً

لتنويه وكان الخنجور يحتوي سمًا ناقعاً فمات الرجل لساعته · فحضر البوليس والقى القبض على الماسلوفا والمراة والرجل اللذين شاركاها في العمل بتهمة القتل والسرقة وزجهم في السجن للمحاكمة

اما نكلودوف الذي كان بين المحلفين الذين عُينوا للحكم في قضية الماسلوفا ورفيقيها فانه ما وقع نظره على المراة حتى ارتعدت فرائصه · ذلك انه عرفها

ومن اين عرفها ؟ عرفها لانها كانت في صباها خادمة لدى عمته · وكانت في غاية البهاء والجمال وكان هو في غاية الطهارة وصفاء القلب والضمير · فاحبها ولكن حباً طاهراً كحب العذراء للعذراء · ولكن ما بلغ امه حب ابنها للخادمة كاتوشا (وكانت تدعى كاتوشا) حتى ذعرت وارسلت تستدعيه ففارق الامير الصغير كاتوشا وفي نفسه غصة منها · فقضى في قصر امه وابيه بضع سنوات تغيرت فيها اخلاقه من الطهارة الى الدعارة لان « امه كانت تسرّ كل السرور اذا سمعت بان ابنها تغلب على احد رفاقه اذ استمال حبيبته اليه وتستاء اذا سمعته يقول انه سيبقى طاهر الذيل الى حين زواجه » ولما تغيرت اخلاق الامير نكلودوف اصبح اكثر تذكراً لكاتوشا · فحين شبوب نار الحرب بين روسيا والدولة العثمانية عزم على السفر الى ساحة القتال فعرج في طريقه على قصر عمته وشاهد كاتوشا

فرآها قد زادت رونقاً وجمالاً فازداد ولوعاً بها · ولكنه ولع بها هذه المراة ولوعاً ماديًا حيوانياً · وكانت كاتوشا عذراء نقية القلب كجيب قميصها ولكنها كانت تحبه كما يحبها · فجار عليها نيكادوف اذ دخل في احدى الليالي الى غرفتها · وهناك سرق شرف العذراء بيده الاثيمة الجانية

ثم سار الى الحرب · فبعد انقضاء بضعة اشهر احست عمته بان كاتوشا صارت حاملاً فطردتها · فلم تجد هذه الشقية باباً امامها غير باب الفجور فدخلتـه واستخدمت عند المراة الالمانية التي تقدم ذكرها · وبذلك نزلت الى اسفل دركات الهيئة الاجتماعية بل اصبحت خارجة عن حدود الهيئة الاجتماعية بعد طهارتها وبساطتها الماضية

ولما جيء بها الآن للمحاكمة ووقع عليها نظر نكلودوف ذكر ماضيه معها فعلم انه هو الذي جرها الى هذا الشقاء وهذه التعاسة · فانتظر ليرى حكم المحكمة · اما المحكمة فانهـا اثبتت التهمة على ماسلوفا وحكمت عليها بالسجن المؤبد والاشغـال الشاقة في سيبيريا وذلك لتهمة القتل والسرقة

فثارت هنا نفس نكلودوف لا سيما وانه تحقق من سير القضية ان ماسلوفا بريئة من

الذنب الذي حُكم به عليها. فحمل محاميها على استئناف الحكم فرفض السنات هذا الاستئناف لانه لم يكن مستوفياً للشروط القانونية . فاصبح بعد ذلك هذا الحكم نافذاً على كاتوشا

وكان نكلادوف قد شبع الى هنا من ملاذ الدنيا وانتبهت في داخله النفس الادبية التي تجعل الانسان انساناً فاصبح يرى نفسه تعيساً جانياً اكثر من كاتوشا بل اكثر من اشد الناس جناية . ولذلك عزم على اصلاح الفساد الذي صنعه واعادة البناء الذي هدمه . فقصد كاتوشا في سجنها وطلب منها في مشهد مؤثر ان تعفو عنه لانه كان اصل بلائها ثم اقترح عليها ان يتزوج بها تكفيراً عن جنايته . فرفضت كاتوشا

فزاد رفض كاتوشا نكلودوف تعلقاً بها . فابلغها انها اذا سافرت الى منفاها في سيبيريا فانه يلحق بها اصلاحاً لخطاءه معها

وهكذا كان . الا ان نكلودوف قبل سفره مع كاتوشا الى سيبيريا طلب العفو لها من الحكومة لانه كان نافذ الكلمة فوعدوه بفحص المسالة . ثم استدعى نكلودوف اهالي القرى التي له فيها املاك واطيان ووهبهم حق استغلالها والانتفاع بها دائماً بلا اجرة ولا عوض لانه كان قد بلغ قمة الحقيقة ووصل الى حد من الفلسفة والاداب اصبح عنده يرى من الواجبات البشرية (لا من الاحسان) مساعدة الاغنياء لغير الاغنياء وهبة حق استقلال الاراضي للزراع بدل تاجيرهم اياها

وقد سافرت كاتوشا الى سيبيريا في قطار المنفيين فاستاذن لها نكلادوف فنقلوها من مركبات الجناة الى مركبات المجرمين السياسيين . وكانت قد تحسنت نفسها وانتعشت قليلاً من كبوتها الادبية . فاحبها رجل من المجرمين السياسيين . فاعظمت كاتوشا ذلك لانها كانت ترى نفسها حقيرة غير اهل للحب وكان هذا الرجل يحبها لذاتها خلافاً لنكلودوف الذي كان يظهر لها الحب من اجله لا من اجلها اي اراحة لضميره واصلاحاً لخطاءه معها . ولذلك دب في كاتوشا شعور جديد واصبحت كثيرة الرغبة في تحسين احوالها . ففازت بذلك وهكذا عادت الى ادبها القديم فكانها بُعثت من قبرها . وهذا سبب تسمية الكتاب « البعث » او القيامة

اما نكلودوف فانه لحق بها في قطار الركاب التالي . وهنا يسهب الفيلسوف الكاتب في وصف المنفيين الى سيبيريا ومعيشتهم ومقاومتهم للحكومة الروسية ومقاومة الحكومة الروسية لهم وصفاً بديعاً سنأتي على بعضه اذا اتسع المجال . وبعد دخوله الى سيبيريا ورده كتاب من بطرسبرج بصدور العفو عن كاتوشا . فقصدته حينئذٍ كاتوشا لتبلغه انها

عزمت على الاقتران بالرجل الذي احبها ثم تقول له انه وفي دينه وتذهب وهو متاسف على فراقها . ولكنه يظهر له من مقابلتها اياه انها لا تزال تحبه كما كانت وانما ترفض الاقتران به حرصاً على حياته وشرفه بين الناس وهذا مما يزيد اسفه اسفاً لانه على ما يظهر اصبح يحبهـا

لمع من مبادىء الفيلسوف

هذا هو اجمال القصة . ولكنه اجمال بعيد عن الاصل بعد الارض عن السماء . فان الفيلسوف تولستوي لم يكتبها في ٥٩٣ صفحة بالحرف الصغير ليحكي فيها فقط حكاية ابنة سقطت سقطة هائلة ثم نهضت ولكن ليظهر ما ينشأ في هذا العالم من المظالم والشرور والاحزان وما يجب صنعه لمداواتها كلها . وفي اثناء ذلك يصف عادات الروس واخلاقهم ويورد مبادئ واراء فلسفية في غاية السمو والغرابة . وقد اخترنا نشر شذرات منها لتكمل الفائدة لاننا لم نقدم الكلام على قصة الكتاب الا تمهيداً لما راينا تلخيصه منها

﴿ انتباه النفس الادبية ﴾ ونبدأ في تلخيص بعض المبادىء الادبية والفلسفيـة التي ضمنهـا الفيلسوف تولستوي كتابه المذكور آنفاً بوصف انتبـاه نفس نكلودوف بعد معرفتها الشر الذي صنعته بكاتوشا . فان نكلودوف اخذ يقول بنفسه بعد صدور الحكم عليها : اليس من مظالم الهيئة الاجتماعية ان يُحكم على هذه المراة بذنب لم تجترمه . اليس من الهول ان تُسجن وابقى انا شريكها في الاثم بل مغريهـا عليه مطلق السراح مكرماً . بل اليس من دوس الحق والعدالة في هذا العالم ان اكون انا من قضاتها ... وقال في مكان آخر : صار يعروني اشمئزاز من نفسي وخجل من وجودي .. فيجب ان اخرج من هذه الدائرة دائرة الكذب والرياء التي دخلت فيها ... يجب ان اعود الى طريق الحق والعدالة واطلب العفو من كاتوشا بل يجب ان اقترح عليها الاقتران بها

وحينئذٍ انحدرت الدموع من عينيه . « دموع حسنة وقبيحة . حسنـة لانها دليل على انتباه الروح الادبي الذي انقضت عليه اعوام وهو نائم في باطن نفسه . وقبيحة لانها دليل على كبريائه واعجابه بنفسه لما عزم عليه من العمل العظيم » . فدنا نكلودوف من نافذة غرفته المشرفة على الحديقة . وكان الليل هادئاً والقمر يرسل اشعته اللطيفة على اشجار الصفصاف التي كانت تستنشق نسيم الليل البليل . فقال نكلودوف متنفساً الصعداء : ما اجمل هذه المناظر ما اجملها . ولم يكن الجمال حينئذٍ الا في نفسه التي انفتحت بعد

طول انغلاقها

وبعد ذلك ذهب وعرض امره على كاتوشا

﴿ كلمة « الله » في فم الاشقياء ﴾ بين نكلودوف وكاتوشا في سجنها . فقال نكلودوف لها : جئت اسألك العفو . فقالت له . بغضب دع عنك هذا . فقال وجئت ايضاً لاصلح ما افسدت' لا بالقول بل بالفعل فقد عزمت على الاقتران بك . فاتخذ وجه كاتوشا حينئذ شكلاً هائلاً ثم نظرت اليه قائلة بهدوء ما كان ينقصك غير هذا . فقال نكلودوف انني اشعر بانني مديون لك بذلك امام الله . فاستشاطت كاتوشا غيظاً وصاحت ملء فمها : هو يجسر ايضاً على لفظ اسم الله بفمه . الله ؟ واي اله تعني . ولماذا لم تذكر الله في ذلك اليوم الذي صنعت به ما صنعت .. انا ابنة ساقطة محكوم عليَّ بالاشغال الشاقة وانت سيد كبير وامير . فاذهب عني الى اميراتك .. اذهب فانني اكرهك واشمئز من كل شيء فيك . اذهب .. اخرج من هنا » ثم انحدرت الدموع من عينيها فاثرت دموعها فيه تاثيراً هائلاً فقال لها ان رفضك لا يمنعني من خدمتك طوعاً او كرهاً فقالت له هذا الشان شانك ولا يهمني . فخرج نكلودوف . وحينئذٍ جلست كاتوشا في سجنها مبهوتة مطرقة الى الارض لانها ذكرت حينئذٍ الطبقة الاجتماعية العليا التي عاشت فيها في صباها ثم خرجت منها وهي تكرهها وتبغضها »

﴿ سوء الظن بجميع البشر ﴾ الصفحة ١٧٥ السطر ١٠ — « ولما علمت كاتوشا بالحكم عليها اخذت تفكر في مستقبلها . فقالت في نفسها انها لا تتزوج ابداً باحد من المجرمين في منفاها ولكنها ستتزوج بحارس او مفتش او كاتب . وكانت تقول انه من السهل استمالة كل اولئك الناس على شرط ان لا ينحل جسمها . اما اذا نحل وضعف فانها تفقد كل شيء . وحينئذٍ اخذت تذكر النظرات التي كان يوجهها اليها المحامون ورئيس المحكمة والقضاة انفسهم وكيف كان الناس في الطريق عند سيرها الى السجن يرمقونها بعيون طافحة بالرغبة »

﴿ الفساد في الهيئة الاجتماعية ودواؤه ﴾ وقال تولستوي في الصفحة ١٦٤ من كتابه مقيماً الحجة على الهيئة الاجتماعية بما خلاصته

« وحوكم في الجلسة التالة للجلسة التي حُكم بها على كاتوشا فتى عمره ٢٠ سنة متهم بسرقة حزمة مكانس من احد الحوانيت . وبيان ذلك ان اباهذا الولد ادخله الى معمل للخدمة فيه فاقام خمس سنوات في خدمته ولكن صاحب الحانوت طرده في ذات يوم مع جميع عماله لنزاع قام بينه وبينهم فلجأ هذا الشاب الى الازقة والحانات. فتعرف فيها بشاب ميء السيرة فعلمه السكر وانتياب اماكن الفساد ففسدت اخلاقه وساءت سيرته . ولم يسأل ابوه عنه لانه كان عاجزاً عن القيام باوده . فسكر الشاب ورفيقه في ذات يوم وكسروا في سكرهما باب حانوت واخذا منـه رزمة من المكانس فقبض البوليس عليهما وسجنهما فمات احدهما في السجن و بقي الثاني في اسواء حال . وقد اعترف الشاب بذنبه امام القضاة اثناء المحاكمة . فطلبت النيابة اعتبار ذنبه جناية والحكم عليه . فقال نكلودوف احد القضاة المحلفين في نفسه

« لا ريب ان عمل هذا الشاب خطر على الهيئة الاجتماعية . ولكن ما قولنا عن جميع قضاته. ما قولي عن نفسي مثلاً انا الفاسد السريرة المرائي الكاذب الفاسق الذي جُعلتُ قاضياً للحكم عليه. واذا افترضنا ان هذا الشاب هو بين الموجودين في هذه القاعة قاعة المحاكمة الرجل الوحيد الذي في وجوده خطر على الهيئة الاجتماعية فماذا يجب ان نصنع به وماذا يصنعون به . انهم ياخذونه ويضعونه بين المساكين الاشقياء الذين يحرمونهم من حريتهم في السجون و يعلمونهم فيها البطالة والرذيلة وفساد الاخلاق. فيزيدون بذلك فساده فساداً. وقد كان يجب استئصال الشر من اصله وذلك لا يتم الا بمنع الهيئة الاجتماعية من ان توجد اناساً كهؤلاء . فهل تسعى الهيئة في ذلك . معاذ الله بل انها تسعى في زياده الشر وذلك بادخال الناس في المعامل والمصانع والحانات واماكن الفساد . واذا وقعت يدهـا اتفاقاً على شخص واحد من الاشقياء سجنته وهي تظن انها انقذت نفسها من الخطر غير عالمة انها تترك الوفاً والوف الوف غيره يعيشون في الارض ويمرحون

« وماذا جرى لو ان هذا الشاب حين خروجه من معمل سيده جاءه رجل وقال له : لا تذهب يافانيا الى هناك فانه مكان قبيح وتعالَ اليَّ وعش شريفاً بعملك وعرق جبينك عندي . لا بد انه كان قد اجتنب الحفرة التي وقع فيها . ولكن لم ياتِ احد اليه ليقول له ذلك القول . فسقط ذلك السقوط . بل لم يقل له احد في زمانه مثل هذا القول وانما سمعهم يقولون في المعمل ان راس الحكمة للشاب مخادعة الناس والسكر لمسرة النفس والمزاح والملاكمة واصطياد البنات . فعمل بهذه الحكمة التي تعلمها . ولما اتقنها جيء به بهيئة رسمية

الي جلسة رسمية جمعونا فيها نحن الاغنياء وطلبوا منا الحكم على هذا الرجل التعيس الذي هو اخونا والذي لم يسقط الا من قصورنا واهمالنا »

نقول وان هذا الكلام البليغ خير ما يقال في وجوب التعليم الالزامي والتربية الادبية الحقيقية

﴿ الارض لله لا للبشر وفلسفة تولستوي في ذلك ﴾ ولما انقشع حجاب العالم عن عيني نكلودوف بان له ان الثروة التي جمعها له ابوه ليست ملكاً حلالاً له لانها ماخوذة من الجمهور فضلاً عن انها لم تجمع كلها بطرق شريفة . ثم انه كان قد سمع بعذاب الفلاحين وشقائهم والصعوبة التي يجدونها في تحصيل قوتهم فعزم ان يؤجر بعضهم بعض اطيانه (اراضيه) باجرة قليلة جداً مساعدة لهم فرضوا بذلك بعد ترددهم بسبب عدم تعودهم اياه فاجرهم نكلودوف اراضيه باجرة قليلة ولكنه بقي مع ذلك قلقاً منقبض النفس دون ان يدري لذلك سبباً . فعزم على زيارتهم في المزارع والقرى والحقول للوقوف على احوالهم فراى عندهم من الفقر والحاجة والشقاء ما يفتت القلوب وقد تجمهر الفلاحون عليه لمشاهدة هذا السيد الكبير الذي جاءهم لفحص معيشتهم والسؤال عن اكلهم وشربهم . فعاد نكلودوف من عندهم وهو يقول في نفسه « ان هؤلاء التعساء يموتون جوعاً وشقاءً لانهم محرومون من الارض التي خُلقوا لها وخُلقت لهم . فانهم يحرثونها و يزرعونها وغيرهم يصدر محصولاتها الى الخارج و ياكل الخبز الذي اخرجوه بعرق جبينهم . الخيول ترعى في الحقول وتشبع واما هم فانهم لا يشبعون . وهم آخذون شيئاً فشيئاً في تعود الشقاء الذين هم فيه كما اننا اخذنا نحن نتعود التحكم فيهم واعتبار شقائهم ضرباً لازباً . وفي خلال ذلك ترى السياسيين والجرائد يتباحثون في اسباب شقاء الفلاحين ضاربين صفحاً عن السبب الحقيقي الذي هو حرمانهم من الارض التي يحتاجون اليها

« فثبت حينئذ لنكادوف وجوب اعطاء الفلاح ارضاً ليعيش منها . وكم قد سمع ان فلاناً الفلاح مات طفله لعدم وجود لبن يرضعه منه . ولم يكن لديه لبن لانه لا يملك حقلاً ترعى فيه بقرته لتدر له لبناً

وحينئذ ذكر مبادئ « هنري جورج الاميركي » التي قاعدتها « لا يجب ان تكون الارض ملكاً لاحد من الافراد ولذلك لا يجوز بيعها وشراؤها كما انه لا يجوز بيع الهواء والماء ونور الشمس بل ان لجميع البشر حقاً فيها وفي الخيرات التي تخرج منها » فذكر عند

ذلك نكلودوف الانقباض الذي اصابه بعد تاجيره بعض اراضيه وعلم ان سببه هو استياؤه بالطبع اي من غير روية ولا تفكير من بيعه الفلاحين خيرات ارضه بثمنٍ وعزم على هبتهم الارض هبة · فاستدعاهم وابلغهم الامر فلم يفهموا كلامه لغرابته واجابوه انهم يكتفون بان يقدم التقاوي لهم اذ جرت العادة في روسيا ان تكون التقاوي من الزارع نفسه · فقال لهم نكلودوف بل انني اهبكم اراضيَّ هبة · اسمعوا · اليست الارض كلها لله · فقالوا بلى قال فاذا كانت لله وجب ان لا تباع ولا تشرى · لانه اذا جاز بيعها استطاع الاغنياء احتكارها وحرموا غير الاغنياء منها · فقال الفلاحون اصبت اصبت ايها السيد · فقال نكلودوف ومع ذلك فان البشر حين بيعها او تاجيرها يطلبون مبلغاً وافرًا لا يقوم به ايراد الارض فعلامَ اذًا شراؤها لزراعتها · ومن اجل هذا عزمت على ان اهبكم جميع اراضيَّ · ولكن يجب قبل كل امر ان نتفق على طريقة الهبة · فقال احدهم الطريقة سهلة وهي ان نقسمها بيننا كلنا · فقال نكلودوف ولكن فيكم اناساً لا يزرعون او انهم يزرعون على نفقة اسيادهم فاذا وهبناهم اقساماً من الارض ذهبوا و باعوها للاغنياء فتعود الارض وتنحصر في ايدي هؤلاء · وفضلاً عن ذلك فان للزراع عيالاً فاذا ماتوا توزعت الارض على اولادهم بالارث وبذلك تنقسم فيضعف شانهم وتقوى ايدي الاغنياء على ايديهم · فقال بعض الحاضرين اصبت واحسنت · الا ان احدهم اعترض بقوله ولكننا نحرم على الفلاحين ان يبيعوا اراضيهم · فاجاب نكلودوف فمن يخبرنا انهم لا يبيعونها في السر و يبقونها في ايديهم لزراعتها لاسيادهم · هذا فضلاً عن ان قسمة الارض بين الناس بالسواء امر صعب جدًا · فقالوا لماذا · قال لان في الارض ارضاً جيدة وارضاً غير جيدة فاذا حدث التقسيم فمن ياخذ الجيدة ومن ياخذ غير الجيدة · لا بد ان ذلك يفضي الى النزاع والخلاف · فقال بعض الحاضرين نعم نعم ولا اقرب من الخلاف منا في هذه الامور · فقال نكلودوف فمما مرَّ يتضح ان المسالة ليست سهلة الى الحد الذي كنتم تظنونه · ولسنا نحن وحدنا نفتكر في هذه المسائل الهامة · فقد قام رجل اميركي يُدعي جورج ورأى في هذا الشان رايًا استحسنه واوافق عليه وهو : ان الارض ملك للجمهور لا للفرد الواحد · وهي جنسان جنس جيد وجنس غير جيد · فكيف السبيل لقسمتها بالسواء بين جميع البشر · السبيل الى ذلك انه يجب على الذي يستغلُّ الارض الجيدة ان يقسم الزيادة التي تحدث في حاصلاتها بينه و بين الزارع الذي يستغل الارض غير الجيدة · ولذلك طريقة اسهل من دفع المال · وهي ان يُقرر ان كل رجل يستغلُّ ارضًا يدفع الى الهيئة التي يعيش فيها رسماً

معلوماً . وهذا الرسم يكون كثيراً للاراضي الجيدة وقليلاً للاراضي غير الجيدة . وبذلك تتم المساواة بين الجميع . اما اذا كان الرجل لا يستغلُّ ارضاً فانه لا يدفع شيئاً

فابتهج الفلاحون بهذا الحل وكان احد اتباع نكلودوف حاضراً فساله واذا طلبت انا قسماً من الارض العمومية فاجابه انك تُعطى ما تطلبه لان لكل انسان حق الاشتراك في استغلال الارض واستخراج خيراتها

وهكذا صنع نكلودوف . فانه وهب اطيانه الواسعة للفلاحين كلها فسر الفلاحون بذلك اعظم سرور وكذلك سرّ نكلودوف وارتاح بعد ذلك الانقباض ارتياح مسافر اكتشف في سياحته بلاداً جديدة

وفي الحقيقة انه كان قد اكتشف امراً جديداً

﴿ عدم فهم الناس هذه المبادئ ﴾ وذهب نكلودوف لزيارة عمته الاميرة ليسالها متى يصدر العفو عن كاتوشا وعن امراة اخرى محكوم عليها . فاجابته عمته دع هؤلاء النهيليست وشانهم فقال نكلودوف ماذا تقولين ياعمتي اما انت مسيحية . الا تؤمنين بالانجيل . فكيف لا تشفقين على المراة التي اعنيها . فقالت عمته اي دخل للانجيل هنا ولماذا يتداخل هؤلاء البشر في ما لا يعنيهم . فقال نكلودوف انهم يسعون لمساعدة الشعب . فقالت عمته اننا لا نحتمل ان تتصدر فينا ابنة من الشعب لتعلمنا واجباتنا . فقال نكلودوف صدقيني ياعمتي ان الشعب محتاج الى المساعدة والاغاثة فانه يتعذب ويشقى . هو يعمل ويتعب ونحن الاغنياء ناكل في البطالة والترف الخبز الذي تصنعه يمينه . فصاحت عمته ماذا تطلب ماذا تطلب . . اتريد ان اذهب انا الى النهر فاغسل فيه امتعتي بيدي ولا آكل الا من البطاطس . . . لا ريب انك قد اصبحت ابله ولا شك عندي انه سيسوء مصيرك "

﴿ الجرائد والطعن والمحاكم ﴾ وفي ذات يوم شهد نكلودوف محاكمة مدير جريدة وسبب محاكمته ان جريدته نشرت مقالة تكشف فيها الغطاء عن اختلاس مدير احدي الشركات المالية العمومية . فسمع نكلودوف في اثناء المحاكمة اموراً غريبة . فانه في شرع العدل الصحيح كان يجب ان تبحث المحكمة هل ان هذا المدير مختلس ام لا . ولكنها ضربت صفحاً عن ذلك واخذت تبحث هل ان في تلك المقالة طعن وقذف في حق المدير

ام لا . ومقتضى ذلك ان مدير الجريدة قد يُحكم عليه وان كان مدير الشركة مختلساً . فاين الحقيقة هنا واين العدالة

﴿ الرذيلة وثوبها اللامع في الطبقات العليا ﴾ وبينما كان نكلودوف يسعى لاطلاق سراح كاتوشا لقي امرأة يعرفها تُدعى " مار بيت " وهي من اسمى النساء مقاماً لانها متزوجة باحد الوزراء وكانت في غاية الجمال والبهاء فاخذت تحادثه وتُظهر الميل له . فثارت في نفس نكلودوف عوامل الحب . وكانت تنظر اليه في خلال الحديث نظرات خصوصية فكأن عينيها تقولان له " هل تستطيع ان تحبني " فتجيبها عينا نكلودوف في خلال الحديث ايضاً " نعم استطيع ذلك " الا ان نكلودوف ندم في اليوم التالي على افتكاره بالسوء . وكانت مار بيت قد طلبت اليه ان يزورها لتطلعه على امر هامٍ فذهب اليها فرآها في اجمل حلة وابهى زينة وهي مكشوفة الصدر والذراعين فحادثته طول الوقت دون ان تطلعه على الامر فعلم نكلودوف انها ما طلبته الا لتوقعه في شراكها فثارت في نفسه عوامل استحسانها واستقباحها معاً . استحسنها لجمالها الفتان ومنظرها البديع واستقبحها لما رآه تحت هذا الثوب اللامع من الفساد والرغبة في الرذيلة . فاغتنم فرصة وفرَّ من الغرفة التي كانت مار بيت فيها . وفي خروجه ابصر امرأة جميلة واقفة تنظر اليه باسمة بعينين ملئهما الرغبة فخرج من المنزل وهو يقول في نفسه .

" بسمة هذه كبسمة تلك كلتاهما تفيدان معنى واحداً وتنطقان بلغة واحدة . ولا فرق بينهما سوى ان هذه تتكلم بحرية وصراحة وتلك تراوغ بكلام منمق مزوق . الاولى تفصح عما في نفسها والثانية تكذب وتكتم ما في نفسها

" ما افظع الهوى الحيواني في الانسان واشده هولاً ولكنه يكون ضعيفاً لما يكون مكشوفاً فانه اذا كان مكشوفاً بقيتَ بعده كما كنتَ قبله سواء ثبت في وجهه وعصيته او جاريته واطعته اما اذا كان غير مكشوف بل مستتراً تحت ظواهر لامعه اذا كان يطلب منك ان تحترمه وتكرمه لاقامته في نفس تزعم العلو والعظمة بدل ظهوره بمظهره الحقيقي من الحيوانية والوحشية فحينئذ تتغلب الحيوانية على الانسانية في نفسك وتصبح عاجزاً عن تمييز الخير من الشر والصلاح من الفساد قال نكلودوف ذلك ثم افتكر بالهيئة التي كان عائشاً فيها فعلم ان تحت ظواهرها البراقة واثوابها اللامعة رذائل وفظائع من اشد الرذائل والفظائع الحيوانية "

﴿ الاعتراض على المحاكم والقضاة ورأيه في العقاب ﴾ وذهب نكلودوف لزيارة شقيقته ناتالي زوجة البرنس اناياس نيسنفوروفيتش ليطلعها على ما عزم عليه من السفر الى سيبيريا والتزوج بكاتوشا وهبته اراضيه للفلاحين فجرى بينه و بين صهره اناياس الحديث التالي · قال البرنس اناياس الذي هو من رجال القضاء : لا تقل ان المحاكم تسجنها وهي بريئة حسب العادة فان المحاكم لا تسجن في العادة الا المجرمين · فقال نكلودوف اما انا فارى عكس ما تقول واني مقتنع بان نصف البشر الذين تحكم المحاكم عليهم هم ابرياء · فقال اناياس ان العصمة لله وحده وقد يقع الخطأ في بعض الاحيان · فقال نكلودوف بل ان اكثر المحكوم عليهم اناس ابرياء · غير ان منهم من هم ابرياء من كل ذنب براءة حقيقية ومنهم من هم ابرياء لان الوسط الذي عاشوا فيه جعلهم يظنون ان الذنوب التي صنعوها ليست في الحقيقة ذنوبًا · فقال البرنس اناياس بغضب · لا تقل ذلك فان كل لص يعلم ان السرقة حرام ومع ذلك فانه يسرق · فاجاب نكلودوف وقد اخذ التاثر يظهر فيه · كلا ان اللص لا يعرف ان السرقة حرام ذلك لانه يرى سيده يسرق عمله ويتمتع بتعب جبينه ومستخدمي الحكومة ينهبون من كل جانب امواله · فماذا يفيد ان نقول له ان السرقة حرام والكل يسرقونه · فالتفت البرنس اناياس الى نكلودوف وقال له بهدوء ورزانة · الا تعلم ان ما تقوله الآن يُدعى « فوضوية » · فاجاب نكلودوف لا يهمني اسم الامر الذي اقوله لانني لا اقول الا الواقع · فان ذلك الرجل يعلم ان المستخدمين يسرقونه واننا نحن الاغنياء نسرقه ايضًا اذ نستغل لمنفعتنا دون سوانا هذه الارض التي كان يجب ان تكون ملكًا شائعًا للجميع · ثم انه اذا خطر لذلك المسكين ان ياخذ من غير علمنا قضبانًا من الاشجار التي تحتها ليضرم النار بها و يصطلي عليها قبضنا عليه و زججناه بالسجن · فقال البرنس وهل تنكر مبدأ الملكية الا ترى انه يجب ان يكون للارض مالك حر التصرف بها · وافترض انك قسمتها بالسواء على الجميع ألا تعلم انها تعود وتجتمع اقسامها في ايدي الذين هم اكثر نشاطًا واجتهادًا · فقال نكلودوف ومن قال لك انه يجب ان تُقسم · ان الارض لا يجوز بيعها ولا شراؤها · فقال البرنس ولكن البشر بلا مبداء الملكية يعودون الى الحالة الوحشية · فقال نكلودوف لا صحة لهذا القول بل بالعكس فان الناس ينتفعون حينئذ من الارض بدل بقاء خيراتها في بطنها بلا فائدة

فغضب صهر نكلودوف لهذا الكلام وغضب نكلودوف ايضًا فرأت شقيقته ان تغير الحديث فسالته عن امر البراز الذي قتل فيه الفتى كامانسكي · وكانت هذه الحادثة

اكبر حوادث بطرسبرج في تلك الايام . فاسف انياس لانهم لا يعاملون الرجل الذي قتله في البراز معاملة القتله . فساله نكلودوف وما الفائدة من ذلك فاجاب ان ذلك عدل فضحك نكلودوف وقال تقول ذلك كما لو كان العدل هو الغرض من الشرائع الموجودة الآن . فساله انياس مدهوشاً وماذا تزعم غرضها . فاجاب : غرضها ابقاء الحالة الحاضرة كما هي لمنفعة فريق قوي من البشر . فقال انياس بغضب لا يمكنني ان اسمع هذا الكلام لانني اعلم ان المحاكم انشأت لغرضين الاول لتقويم اعوجاج المجرمين . فضحك نكلودوف وقال ما شاء الله على هذا التقويم الذي يزيد المسجونين في السجون اعوجاجاً. فاردف انياس بقوله اما الثاني فهو عزل المجرمين لمنعهم من الاضرار بالهيئة الاجتماعيـة لانهم خطر دائم عليها . فقال نكلودوف ساخطاً اما انا فارى ان المحاكم لا تؤدي الى هذا الغرض ولا الى ذاك . ولا يوجد في العالم سوى عقابين ناجعين . الاول السوط والثاني الاعدام . فقال البرنس انياس لم اكن انتظر ان اسمع منك كلاماً كهذا الكلام . فقال نكلودوف . اقول ذلك لانني اعتقد ان جلدك المذنب لتجعله يشعر بالم ذنبه واعدامك المجرم لتريح الهيئة الاجتماعية منه امران معقولان مقبولان . واما السجون ووضع البشر فيها ليعيشوا بين جدرانها في البطالة والفساد والقدوة السيئة فاية فائدة منهما . لقد مرت قرون والمجرمون يُسجنون فهل قل عددهم . كلا بل كثر وزاد . وان قلتَ ان السجون اتقنت واحكم بناؤها وفرشها كانت اصلح حالاً واكثر تاثيراً اجبتك ان الاموال الطائلة التي تُنفق عليها تذهب سدى . ولا شيءَ اكره اليَّ من تلك السجون النظيفة المرتبة المنارة بالكهربائية والتي يُجلد فيها المجرمون بالكهربائية ويُعدمون بالكربائية

☀ من هم كبار الناس ؟ ☀ واذ خبر نكلودوف شقاء الشعب ورأى تلك الالوف والملايين الذين يعيشون جياعاً عراة عطاشاً معذبين من الطبيعة ومن البشر جعل يقول في نفسه وهو بينهم : هؤلاء هم كبار الناس الحقيقيون . هذه هي الانسانية العظيمة الحقيقية . لا تلك الطبقات التي يسمونها عالية وما هي الا واطئة دنيئة تضحي كل شيء من اجل مصالحها وشهواتها

☀ الاضطراب السياسي في روسيا ☀ ولما كنا نطالع الكتاب كنا نطلب فيه بشوق لا مزيد عليه رأي الفيلسوف في الاضطراب السياسي في روسيا ومذهبه في المنفيين

السياسيين الى سيبيريا · وهذه خلاصته على لسان نكلودوف ايضاً

كان نكلودوف في بدء حركة الثورة في روسيا يجتنب القائمين بها و يستاء من اعمالهم · ولكنه لما خبر بعضهم ورأى المعاملة الهائلة التي يعاملون بها اصبح يميل اليهم · فانهم كانوا يُصطادون جماعات جماعات كما يُصطاد السمك بالشبكة ثم يُطرحون في السجون سواء ماتوا او عاشوا · ولم يكونوا كلهم اشقياء كما انهم لم يكونوا كلهم ابطال وشهداء كما يقول بعضهم · بل انهم ثلاث فئات · فئة تكره الشر ولذلك تقاومه بكل قوتها · وهؤلاء هم الصالحون وفئة تنضم الى المقاومين لاذى اصابها او طلباً للشهرة او رغبة في الاذى · وهؤلاء هم اصحاب العقول المتوسطة والاشقياء · وفئة تنهض رغبة في العمل والمخاطرة بالنفس وتغيير المعيشة التي هي على وتيرة واحدة · وهؤلاء هم الشبان المقدمون الذين يكرهون السكون · وقد شعر نكلودوف منذ كان في ساحة الحرب انه من الفئة الثالثة

ولا نسهب في هذا الموضوع لان ذلك يقتضي مقالة على حدة

❊ عود الى لابسف واعتراف تولستوي بالقيصر ❊ وقد نقلنا في الجزء السابع الكتاب الغريب الذي كتبه لابسف الى تولستوي وذكرنا كيف ان تولستوي لخص هذا الكتاب ببعض تصرف في كتابه « البعث » الذي نحن في صدده · ونحن الآن نزيد على ما تقدم ذكره في ذلك العدد الكلام الآتي ماخوذاً من الكتاب المذكور

فلما قال الشيخ لسائق نكلودوف (لا للسائق نكلودوف كما ورد خطأ) الله هو ابي والارض هي امي اردف بقوله : ويسالونني عن القيصر الا تعترف به ؟ فاجيبهم لماذا لا اعترف به · فهو يملك من جهة وانا املك من جهة اخرى (يعني ان الانسان ملك في حد ذاته اذ ليس لاحد سلطان على نفسه) فساله نكلودوف واين انت ذاهب الآن · فاجاب الشيخ الى حيث يرسلني الله · فانني اذهب لاعمل واذا لم اجد عملاً فانني اشحذ · فمد نكلودوف يده الى جيبه واخرج منها قطعة من النقود الفضية واومأ بها الى الشيخ فقال الشيخ · لا لا · انا لا آخذ من هذا · ولا اقبل غير الخبز · فقال نكلودوف · صفحاً اذا كنت قد اهنتك بتقدمتي · فقال الشيخ كلا لم تهني بل لا يقدر احد ان يهينني · ثم حمل الشيخ كيسه الذي كان على الارض وسار في طريقه

وبعد ايام زار نكلودوف السجن فوجد هذا الشيخ فيه وقد سجنوه بحجة انه من المشردين · فلما رآه الشيخ شخص في وجهه وصاح به · وانت ايضاً من عمال المسيح

الدجال الذين وضعوني في السجن · فاجاب نكلودوف كلا فانني زائر فقط · فقال الشيخ · اذن انت جئت لترى كيف يعذب المسيح الدجال البشر · فانظر كيف يصنع ذلك · انه يلقيهم في اماكن مقفلة الوفا الوفا ويطعمهم ويسقيهم بلا عمل كانهم خنازير وفي الحقيقة انه يجعلهم بذلك خنازير · فطلب انكليزي كان حاضرًا ان يُسال ذلك الشيخ ماذا يجب اذن صنعه بمن يخالف الشريعة · فضحك الشيخ كثيرًا ثم قال · الشريعة · لا تقل شيئًا عن الشريعة · فان الانسان استولى على الارض قبل كل امر وسلب الجمهور خيراتهم وافنى كل مقدرة لهم على مقاومته ثم كتب الشريعة وقال فيها لا تقتل لا تسرق ولكن لماذا لم يكتب ذلك قبل ان يصنع بالارض ما صنع · فضحك الانكليزي لهذا الجواب وطلب ان يُسال الشيخ : اذن ماذا يصنعون باللصوص والقتلة · فاجاب الشيخ · قل له ان الهيئة الاجتماعية يجب ان تمحو عن جبينها ختم المسيح الدجال اولاً ومتى صنعت ذلك وجدت امامها من الاعمال ما يشغلها عن اللصوص والقتلة · فخرج الانكليزي ضاحكا وبقي الشيخ في السجن معربدًا

﴿ خاتمة الكتاب وفيه نتيجته ﴾ وقد آن لنا الآن ان نبلغ خاتمة الكتاب فنقول لما صدر العفو عن كاتوشا وجاءته لتبلغه انه اصبح في حل من ذنبه لانه كفرَّ عنه وانها عزمت على الاقتران بالسجين الذي احبها كما تقدم الكلام هاج خاطر نكلودوف لانه صار يحبها · وفي ذلك اليوم نفسه مات لنكلودوف صديق اصطفاه من المسجونين في سيبيريا وكان يدعى « كريتزلوف » وهو شاب حميد الصفات كريم الاخلاق توفي بداء الصدر لسوء المعيشة في السجن · فلما تحقق نكلودوف هاتين المصيبتين ذهب الى غرفته حزينًا كئيبًا

وهناك اخذ يتامل في امور الحياة وما حدث له في ايامه الاخيرة · فراى ان امره مع كاتوشا قد تم وانه لم يبقَ بها حاجة اليه فاستراح ضميره من هذا الوجه · ولكنه بقي متعبا من وجه آخر

ذلك انه ذكر ما شاهده في طريقه من الشقاء والجرائم والاحزان بين البشر فراى من واجباته ان يسعى لهدمها كلها وبذلك يكون قد مضى دور من عمره وجاء دور آخر وفيما هو يتامل في ذلك كان يسال نفسه « هل انا في الحقيقة مجنون حتى انني ارى الناس كما اراهم ام هم في الحقيقة مجانين فاراهم كذلك »

قال ذلك ثم القى بنفسه على مقعد وتناول « انجيلاً » كان قد اهداه اليه الانكليزي الذي تقدم ذكره وهو يقول : « يوجد اناس يزعمون ان الانسان يجد في هذا الكتاب جواباً لكل المسائل التي يطلبها . فلنجرب ذلك » ثم فتح الانجيل اتفاقاً فوجد امامه الاصحاح الثامن عشر من انجيل متى . فقرأ ما يلي :

١ في تلك الساعة تقدم التلاميذ الى يسوع قائلين : فمن هو اعظم في ملكوت السموات

٢ فدعا يسوع اليه ولداً واقامه في وسطهم

٣ وقال . الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات

٤ فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم في ملكوت السموات

فقال نكلودوف في نفسه وقد قطع القراءة « نعم . نعم . هذا امر حقيقي » ان الانسان لا يعرف لذة السلام وهناء الحياة الا اذا جعل نفسه صغيراً متواضعاً كالولد الصغير . ثم استانف المطالعة فقرأ ما يلي

٥ ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني

٦ ومن اعثر احد هولاء الصغار المؤمنين بي فخير له ان يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر

فترك نكادوف القراءة هنا متاملاً وقال : ما معنى هذه الكلمة « من يقبل هولاء الاولاد » فانني لم افهمها . واي دخل لحجر الرحى والعنق وقعر البحر في هذا الموضوع . هذا لم يكتب لي . هذا بلا معنى لي . ثم قرا بعض آيات اخرى وجعل يقول في نفسه « يا لها من خسارة ان يكون ذلك غامضاً وغير مكتوب بوضوح تام . فانني اشعر بوجود شيء عظيم فيه ولكنني لا افهمه . ثم قرا ما يلي

١١ لان ابن الانسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك

١٢ ماذا تظنون . ان كان لانسان مئة خروف وضلّ واحد منها افلا يترك التسعة والتسعين على الجبال و يذهب يطلب الضالّ

١٣ وان اتفق ان يجده فالحق اقول لكم انه يفرح به اكثر من التسعة والتسعين التي لم تضل

١٤ هكذا ليست مشيئة امام ابيكم الذي في السموات ان يهلك احد هؤلاء الصغار

ولما بلغ الى هذه الآية قال « لا شك أن الآب لا يريد ان يهلكوا ولكن ذلك لا يمنعهم ان يهلكوا مئات والوفاً . افما من سبيل الى انقاذهم

ثم استانف القراءة

٢١ حينئذ تقدم اليه بطرس وقال . يارب كم مرة يخطىء الي اخي وانا اغفر له هل الى سبع مرات

٢٢ قال له يسوع لا اقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات

٢٣ لذلك يشبه ملكوت السموات انساناً ملكاً اراد ان يحاسب عبيده

٢٤ فلما ابتدأ في المحاسبة قُدم اليه واحد مديون بعشرة الاف وزنة

٢٥ واذا لم يكن له ما يوفي امر سيده ان يباع هو وامراته واولاده وكل ماله ويوفى دينه

٢٦ فخرّ العبد وسجد له قائلاً . ياسيدي تمهل عليّ فاوفيك الجميع

٢٧ فتحنن سيد ذلك العبد واطلقه وترك له الدين

٢٨ ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمئة دينار . فامسكه واخذ بعنقه قائلاً اوفني ما عليك

٢٩ فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب اليه قائلاً تمهل عليّ فاوفيك الجميع

٣٠ فلم يرد بل مضى والقاه في سجن حتى يوفي الدين

٣١ فلما راى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً واتوا وقصوا على سيدهم كل ماجرى

٣٢ فدعاه حينئذ سيده وقال له ايها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لانك طلبت الي

٣٣ افما كان ينبغي انك انت ايضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك انا

ولكن نكاودوف ما وصل الى هنا حتى توقف بغتة واخذ يتامل و يقول في نفسه « هل هذا هو الجواب الذي اطلبه »

وحينئذ سمع صوتاً باطنياً يقول له « نعم هذا هو الجواب الذي تطلبه »

فحدث في داخله اذ ذاك ما يحدث عادة في باطن كل انسان يرى بعض الامور غريبة

عجيبة ثم يُثبت له الاختبار صحتها فيستنير عقله بغتة و يعترف بصحتها . وهكذا جرى لنكلودوف فانه ادرك عند قراءة ذلك الكلام ان الدواء الوحيد الذي يمكن وجوده لمعالجة الشر الآن في العالم انما هو وجوب ان يعتبر كل واحد من البشر انه مديون لله بكل شيء ولذلك فليس له حق في ان يدين غيره و يعاقبه . لقد ادرك حينئذٍ ان كل الشر الذي رآه في السجون وفي الاماكن الاخرى مصدره واحد وهو ان البشر اصحاب الاخلاق الفاسدة يطلبون اصلاح اخلاق بعضهم البعض . فكيف يُرجى الصلاح من الفساد . الفساد لا يُنشئ الا الفساد . والناس الفاسدي الاخلاق يجعلون الناس فاسدي الاخلاق بالطبع بدلاً من ان يصلحوهم . ولا دواء لذلك غير جواب المسيح لبطرس وهو : اذا اخطأ اليك اخوك فاغفر له سبعين مرة سبع مرات

ثم اخذ نكلودوف يتامل و يقول اصحيح ان هذا الامر بسيط الى هذا الحد . وكان مقتنعاً كل الاقتناع بان السجون لا تؤثر في اصلاح شان البشر لانها تزيدهم فساداً فازداد اقتناعه الآن شدة فجعل يقول في نفسه « ان الهيئة الاجتماعية اذا كانت قائمة الآن فليس ذلك بقوة القضاة والمحاكم بل لان البشر لا يزالون يحبون بعضهم بعضاً و يرفقون بعضهم ببعض »

ثم فتح الانجيل مرة ثانية لانه اخذ يشعر من نفسه بانجذاب جديد اليه فطالب خطبة المسيح على الجبل من اولها واخذ يقرأها . وكان يعتبر من قبل ان هذه الخطبة السامية التي هي اسمى قول خُط على قرطاس انما هي مجموعة قواعد سامية سهلة لدى القول مستحيلة لدى العمل . اما الآن فانه رآها قواعد في غاية البساطة والجلاء ووجد انه لا اسهل من العمل بها . ووجد ايضاً ان البشر لو عملوا بها لنشأت هيئة اجتماعية جديدة خالية من كل ظلم وشقاء وشدة واتى على الارض ملكوت الله

وهذه القواعد تنحصر في المبادئ الخمسة التالية

(١) المبدأ الاول ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يقتل اخاه الانسان بل يجب ايضاً ان لا يغضب منه ولا يشكوه ولا يحتقره واذا خاصم انساناً فيجب عليه ان يصالحه قبل ان يقدم قرباناً لله اي قبل ان يتحد مع الله بالصلاة القلبية

(٢) المبدأ الثاني ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يستسلم الى شهواته وان لا يدنس جمال المراة بجعلها آلة للذته الخشنة بل يجب عليه ايضاً اذا تزوج بامراة ان لا ينفصل عنها مدة حياته

(٣) المبدأ الثالث انه يجب على الانسان ان لا يحلف بانه يصنع كذا او يهب كذا فانه لا يملك نفسه ولا اي شيء في هذا الوجود

(٤) المبدا الرابع ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يطلب عقاب العين بالعين والسن بالسن بل يجب عليه اذا ضربوه على خدٍ ان يدير لهم الخدّ الثاني وان يصفح عن مهينيه ويحتمل الاهانة بصبر جميل وان لا يرفض شيئاً مما يطلبه منه البشر اخوته

(٥) المبدا الخامس ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يبغض اعداءه ولا يقاومهم بل يجب عليه ايضاً ان يحبهم ويساعدهم ويخدمهم

هذه هي المبادىء الخمسة . وكان نكلودوف يفكر فيها وهو ملقى على المقعد يتامل وبقي ساهراً طول ذلك الليل وهو يطالع الانجيل فقراه كله من اوله الى آخره . وكان يشعر بارتياح عظيم وهو يقراه لانه كان يفهمه حق فهمه . وقد قال في نفسه « كنت اشعر في نفسي بهذه المبادىء فاحسبها خطا اما الآن فانني اؤمن بها وارى انها الحقيقة بعينها » ذلك ان الاختبار الذي اختبره في مصائب الناس رفع الغطاء عن بصره

وقد راى نكلودوف في الانجيل مثلاً منطبقاً اشد انطباق على ما نحن في صدده . وهو مثل الكرامين . فان الكرامين حسبوا ان الارض التي اعطوها ليحرثوها ويزرعوها هي ملكهم لا ملك سيدهم ولذلك صاروا يقتلون كل من يجيء ليذكرهم بواجباتهم نحو سيدهم . قال نكلودوف : وهكذا يصنع البشر الآن على الارض . فاننا نحسب ان حياتنا لنا واننا ما اعطيناها الا لنتلذذ بها . وهذا قول فاسد وعقيدة حمقاء . ان الانسان لم ياتِ باختياره ومن تلقاء نفسه الى هذا العالم بل ان هنالك قوة ارسلته اليه لغرض ما . اما نحن فاننا نسينا هذه الاولية واخذنا نتصور اننا لم نعطَ الحياة الا لنتمتع بها . فهل من الغرابة بعد ذلك اذا اصبحنا تعساء اشقياء . اليس ذلك لاننا اعتبرنا الحقل ملكنا وخالفنا ارادة سيدنا

اما ارادة سيدنا فهي في هذا الكتاب . هذا الكتاب الذي يقول اطلبوا ملكوت الله وما بقي فيعطى لكم حالة كوننا لا نطلب اولاً الا « ما بقي » فهل من الغرابة ان لا نحصل عليه

كذلك كانت حياتي . ولكن هذه الحياة قد انتهت وابتدات الآن حياة جديدة

ختام المقالة

وهنا اوقف تولستوي قلمه ووعد القراء بتفصيل الحياة الجديدة التي قضاها نكلودوف

بعد ذلك. حياة مملوءة بصنع الخير وانكار الذات وخدمة الانسان من اي جنس واي دين كان . ولا يزال قراء تولستوي الذين يُعدون بالملايين لان فيهم الروس وغير الروس في العالم كله ينتظرون بصبر فارغ صدور تتمة هذا الكتاب الجليل

هذا ولا يسعنا قبل الختام الا ان نذكر ثلاث ملاحظات لتكون تتمة للكلام الاولى ان تولستوي في كل ما قاله وانتقده لم يخصص الهيئة الاجتماعية الروسية لانه لا يجهل ان في جميع بلاد العالم ما في روسيا من المظالم والشرور والآثام وانما هو يحارب الشر على الاطلاق ويحنج على المجتمع البشري كله . والملاحظة الثانية انه لا يصح نسبة كل ما جاء في هذا الكتاب الى تولستوي واعتباره رأياً له راسخاً في نفسه يجوز الرد عليه اذا كان احد يتطاول لان يواجه هذا الفيلسوف العظيم برد ظاهراً او مضمراً . لان اكثر ما في الكتاب وارد على السنة الاشخاص الذين تخيلهم فلا يجب ان يعزى اليه الا ما جاء عن لسانه . والملاحظة الثالثة انه لا يفهم فلسفة تولستوي الا كل من منحه الله فكراً سليماً وقلباً نقياً وعقلاً نيراً منزهاً عن الخرافات والاوهام . ولكن فهمها لا يوجب الاشتراك فيها كلها

وفي ختام هذا المقال يجب علينا شكره وحيه الفيلسوف تولستوي لثلاثة اسباب . الاول لان كتابه جعلنا نكتب في الجامعة هذه المقالة التي هي مع طول ذيلها احسن مقالة قراها قراؤها الى الآن . والثاني لانه جعلنا مدة اعدادها وكتابتها نعيش معه بالفكر بضعة ايام في جوه السامي الرفيع فوق رذائل الهيئة الاجتماعية الحاضرة ورياء البشر ومظالمهم ودناءتهم وخزعبلاتهم . والثالث لانه جعلنا نتعلم طريقة مفيدة للجامعة وقرائها وهي تلخيص اطايب الكتب والمؤلفات الجليلة في مقالات على نحو هذه المقالة . ولا ريب ان ذلك يتعب كاتبها تعباً لا يجده في كتابة عشر مقالات من غير نوعها غير انه يسرُّ قراءها كثيراً وحسبنا رضى القراء وسرورهم مكافأة على اتعابنا . ولذلك نعاهدهم على ان ننحو هذا النحو في كثير من الكتب المفيدة . فيطالعون الكتاب الواحد في مقالة واحدة . وعلى الله الاتكال

❊ رجل يحيى بلا معدة ❊ استخرج الدكتور جول بيكل في سترسبورج المعدة من جسم رجل عمره ٣٨ سنة لمرض فيها فبقي الرجل حياً يأكل ويشرب ويروح ويجيء الى الآن فارسل الدكتور يطلع المجمع الطبي في باريز على هذه الغريبة

باب تدبير الصحة

مضار النقاب (الفوال) ومنافعه

للنقاب (الفوال) الذي تضعه النساء والفتيات على وجوههن فوائد · منها انه يزيدهن جمالاً لانه اذا كان ازرق اللون جعل وجه المراة كقمر تجلله سحابة زرقاء · ومنها انه يمنع وصول ميكروبات الطرق الى وجهها لان الغبار اذا كان لا يصل الى قمر السماء فهو قد يصل الى اقمار الارض · على ان للنقاب ضرراً بازاء النفع · وهو انه يضعف العينين ويصيبهما باذى اذا كان النقاب سميكاً او اذا كانت خيوطه شديدة الالتحام بعضها ببعض لا تبقي فراغاً للنظر والهواء · ولذلك قال بعض اطباء العيون يسرني ان تضع النساء نقاباً لانه يضعف عيونهن

ولكن لا يفرحنَّ طبيب العيون فان النساء اصبحن في مصر والشام يجتنبن النقاب السميك ولا يقل انهن يجتنبنه ليرين و يُرين فان النتيجة واحدة ··

رائحة الفم ونظافة الاسنان واهميتها

اغسل فمك كلما اكلت لان البخر (الرائحة الكريهة في الفم) قد يكون من قذارة الاسنان اذا لم يكن من سبب في المعدة · ولا تخرج الفضول التي تعلق بين اسنانك واضراسك بدبوس او بآلة معدنية فان ذلك يضر اللثة وانما اتخذ لذلك مسواكاً من الريش او قشة · ولكن لا تضع قشة غير نظيفة بفمك · وحسناً تصنع اذا كنت تجعل آخر لقمة تاكلها على الطعام قطعة من الخبز تسحقها جيداً باضراسك واسنانك ليعلق بها ما هنالك من الفضول · ولا تفرك اسنانك فركاً بمنديل لانك بذلك تزيل الاقذار من سطح الاسنان وتدخلها الى الشقوق التي بين بعضها البعض · وكلْ بتانٍ على المائدة وامضغ جيداً وافتكر دائماً انه اذا كانت المعدة عماد الصحة فالاسنان عماد المعدة

اصلاح الديباج او المخمل المجعد

لا تكوي الديبـاج او المخمل المجعد بمكواة رغبة في جعل خيوطه تستقيم بعد نومها وتجعدها ولا تغسليها بالماء فان ذلك يزيدها نوماً وتجعداً · وانما احمي قطعة حديد ثم رطبي

قطعة المخمل من قفاها لا من وجهها وضعيها فوق قطعة الحديد المحمية دون ان تمسها . فتبخر حينئذٍ الحرارة الماء وتخرجه من وجه المخمل . فالبخار بخروجه يفصل الخيوط النائمة بعضها عن بعض ويجعلها مستقيمة

حفظ رائحة البنفسج

لحفظ رائحة ازهار البنفسج طريقة بسيطة . وهي ان تقطعي سوق الازهار بتانٍ وتضعي بعضاً منها بعد قطعها في زجاجة ثم تاخذين شيئاً من الملح الناعم فتضعينه طبقة في الزجاجة فوق الازهار ثم تضعين فوق طبقة الملح طبقة من الازهار . وهكذا حتى تمتلئ الزجاجة . ثم تسدينها سداً محكماً وتضعينها في مكان لا رطب ولا حار . وكلما اردت نشر رائحة البنفسج في غرفتك افتحي قليلاً هذه الزجاجة يتعطر الهواء من ريحها كان البنفسج مقطوف لساعته

تحسين زيت البترول للانارة

تستطيع تحسين زيت البترول (زيت الكاز) بالقائك ملعقة ملح في البترول الذي في المصباح او بالقاء قبضة ملح في وعاء البترول الكبير (التنكة او الصفيحة) فيصبح البترول اكثر قابلية للاشتعال واشد نوراً واقل قابليته للانفجار في الوعاء

دواء لحرق الاصابع

اذا احترق اصبع لك فاحضر في الحال شيئاً من زيت الزيتون واغمسه به ثم رش فوق الزيت شيئاً من دقيق القمح (الطحين) واربط الجرح بعد ذلك ربطاً خفيفاً يقف الالم ويزول اثر الحرق

باب التقريظ والانتقاد

﴿ الواسطة بين الخلق والحق ﴾ اهدى الينا حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد كتاب « الواسطة بين الحق والخلق ويليه رفع الملام عن الائمة الاعلام » وكلاهما لشيخ الاسلام تقي الدين الامام ابي العباس احمد بن تيميه المتوفي في سنة ٧٢٨ هجرية وهو يطلب من ادارة المؤيد فنشكر لحضرة الاستاذ هديته

﴿ايثار الحق على الخلق﴾ استنسخت « شركة طبع الكتب العربية » هذا الكتاب من مكتبة الجامع الاموي بدمشق الشام واعتنت بتصحيحه كل الاعتناء ثم طبعته طبعاً حسناً على ورق جيد بحسب العادة التي جرت عليها في اصدار الكتب المفيدة التي تشتغل بنشرها · اما موضوع الكتاب فهو رد الخلافات الى المذهب الحق في اصول التوحيد وهو تاليف « ابي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني من مجتهدي القرن الثامن الهجري وقد اهدتنا الشركة نسخة منه فنشكر لها هديتها ونثني على ثباتها في نشر الكتب الجليلة

﴿رواية وردة﴾ ما كل الروايات التي يعربها المعربون وتقرظها الجرائد كهذه الرواية التاريخية الادبية التي عربها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر في جريدة المؤيد عن مؤلفها الدكتور جورج ابيروس الالماني · فانها تتضمن في سياق قصة لطيفة الاسلوب رشيقة العبارة وصف اخلاق المصريين القدماء وعاداتهم وهيئة حكومتهم واديانهم وسلطة كهنتهم عليهم مما تلذ مطالعته وتفيد · فنشكر لحضرة المعرب هذه التحفة التي اتحف بها قراء اللغة العربية والمامول ان يشفعها بكتب اخرى من بابها فان الكتب الجدية المفيدة فائدة حقيقية في هذا الزمان لا يُرجى اخراجها الا من اقلام كتاب بفضله وطول باعه · وحسبنا ثناء على هذه الرواية اننا وضعناها على حدة لمطالعتها في اوقات الفرص بالامعان الذي هي جديرة به · وهي تطلب من ادارة جريدة المؤيد بسبعة غروش صاغ

باب الاسئلة والاجوبة

﴿شجرة تطرب للغناء﴾

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

اطلعت في العدد الثامن من السنة الاولى على كلام لجناب الاديب نقولا افندي حداد في مقالة عنوانها الموسيقى وملخصه انه سمع بانه يوجد في جبات حمص (سوريا) نبات صغير شبيه بنبات الحناء ذي زهر اصفر يعلو عن الثرى نصف ذراع الى ذراعين واحياناً اكثر من ذلك وان من خواصه انه يتاثر تاثراً عجيباً من الاصوات الموسيقية فاذا

انشد منشد تحته بلحن الاصفهان تناثرت اوراقه طرباً الخ . والحقيقة ان ذلك النبات يوجد في جميع جهات فلسطين وسوريا وقد شاهدته مراراً عديدة واعرف عنه تقريباً كما اعرف عن الورد العادي ولكن من الغرابة ان يقال عنه انه يتاثر من لحن الاصفهان ولو انشد ذلك امامه كل الموسيقيين في العالم فان هذا امر عار عن الصحة

نعم ان لهذا النبات امراً يستحق الالتفات . وهو انك اذا دنوت منه في ابان الزهر وهززته هزاً شديداً فانك لا ترى زهرة تسقط منه لاول مرة الا ما كان يابساً غير انك بعد دقيقة او دقيقتين ترى اكثر الزهر قد اخذ يتناثر على الثرى وذلك فقط من سبب الهز نفسه . وهو اذا انشدت بلحن الاصفهان عند الهز او لم تنشد فلا بد من تناثر الزهر . ولكنك اذا لم تنشد بلحن الاصفهان فقط بل بالحان داود ابي سليمان ولم تهز ذلك النبات فلا تسقط زهرة واحدة منه . وبما انكم قد طلبتم في ذلك العدد من قرائكم في هذه الجهات ايضاح الحقيقة فقد جئت بهذا البيان

حلب حبيب صبيحة

﴿ الجامعة ﴾ نشكركم على هذا البيان . اما سؤالكم عن مدرسة صيدلية في مصر لتعليم هذا الفن مجاناً فلا وجود لها في هذا القطر بل ان للتعليم فيها اجرة كما في المدارس التي من نوعها . ومن كانت مدارس بيروت قريبة منه فلا يجب ان يفتكر بمدارس مصر

﴿ التنويم المغنطيسي ﴾

وروايتنا (نهضة الاسد ووثبة الاسد)

(اسيوط) السيد علي افندي مصطفى

استغربنا كل الاستغراب ما ورد في الصفحة ٩٠ من رواية نهضة الاسد في ترجمة فردريك انطوان مسمر المشهور بمبداه المغنطيسي وقد اقلق خواطرنا ما ذكرتموه فيها عن عجائب التنويم المغنطيسي فما هو تعليلها وما هي حقيقتها

﴿ الجامعة ﴾ لستم انتم وحدكم تعجبون من نتائج التنويم المغنطيسي بل جميع الناس يعجبون منها معكم ونحن في جملتهم . والتنويم ليس حقيقة ادبية او علمية حتى نبحث في مقدماتها ونتائجها ونعللها ولكنه امر واقع لا تزال اسبابه مجهولة والواقع لا جدال فيه .

وقد روينا ما رويناه عن مسمر نقلاً عن ترجمة له من اوثق المصادر وقلنا في ختامها السطر ٢٤ ما ياتي " وبعض الناس يعزو الشعوذة الى مسمر بالرغم عن ثبوت فعل التنويم وذلك لعجزهم عن تعليله ولكن ليس ذلك من الحكمة في شيء اذ كم من الاشياء يجهلها الانسان فليس يصح ان ينكرها لانه يجهلها » وكفى بذلك جواباً عن سؤالكم

على اننا مع ذلك نوجه انظاركم الى نقطة في رواية وثبة الاسد في هذا الجزء مختصة بهذا الشان . فان سيباستيين ابن الدكتور جيلبار ربي دون ان يعرف امه او يراها ولكنه كان يتصورها وينظرها في احلامه واوقات ذهوله حتى انه ما وقع نظره عليها في المشهد المؤثر الموصوف هناك حتى عرفته وعرفها للحال وركض اليها مع ان اباه الدكتور جيلبار اختطفه منها ليلة ولادته . والمقصود من هذا القول الذي قاله مؤلف الرواية اثبات ان القلب البشري قد يصله وحيٌ عن طريق الدم بان هذا الشخص امك وذاك ابنك دون ان يسبق له معرفة به وهذا من قبيل غرائب النفس كالتنويم المغنطيسي . ولا ريب ان ديماس لما كتب ذلك كتبه كمبداء بسيكولوجي يوجه اليه الانظار ويذهب الى امكانه لان الروايات في الغرب دروس بسيكولوجية وادبية وسياسية ممزوجة بالفكاهة خلافاً لما عندنا من سوء حظنا

والخلاصة ان التنويم المغنطيسي امر مدهش وعجيب . ولكنه امر واقع لا نستطيع الآن انكاره كما اننا لا نستطيع تعليله بشهادة العلماء الذين هم شهود عدول لانهم رأوا باعينهم وسمعوا باذانهم ولم يقم احد لتكذيبهم

باب الاخبار العلمية

المريخ وآراء العلماء

ما شاع خبر الفلكي دوكلاس الذي ذكرناه في مقالة « سكان الارض والسماء » في هذا الجزء وفحواه ان اهالي المريخ بعثوا باشارة الى الارض حتى قام العالم نقولا تسلا الشهير يقول انه متحقق انه سيصنع آلة قوية قادرة على ارسال رسالة كهربائية الى المريخ ولكنه حائر في اللغة التي يرسل هذه الرسالة بها لانه يجهل لغة المريخيين . وهو لا يشك مطلقاً في ان المريخ مأهول . اما مناظره المستر اديسون الاميركي الشهير فانه قال جواباً على

سوءال بهذا الشان « ان علمه لا يتجاوز جبال حملايا » اي انه يبحث في الارض لا في السماء · وقد روت الجرائد الاوربية عن نقولا تسلا انه كان في هذا الشهر يجرب ارسال مجرى كهربائي الى المريخ على احدى قمم الجبال العالية واذا باشارات ترتسم على مرآته فقال انها واردة من المريخ · غير ان هذا الخبر لم تثبته المجلات العلمية المهمة

واما الفلكي السير وليم بيل الانكليزي فانه خطب في هذا الموضوع بعد ظهور خبر الفلكي دوكلاس في لندن فقال انه يستحيل على سكان الارض ان يرسلوا رسالة الى المريخ ويستحيل على سكان المريخ ان يرسلوا رسالة الى الارض لان اكبر الاشياء في المريخ وفي الارض لا تظهر بعضها لبعض في اكبر المكبرات الا نقطة سوداء صغيرة لما بينهما من البعد الشاسع (انظر الصفحة ٥١٨) · فعاد المستر تسلا واكد بعد هذه الخطبة انه سيخاطب في السنة القادمة سكان المريخ

وقد القى الفلكي الفرنسوي كاميل فلامريون الشهير خطبة بهذا الموضوع في احدى جلسات المجمع العلمي الفرنسوي في باريز بعد ورود خبر دوكلاس نغصت القاعة بالحاضرين لسماع اقواله في هذا الشان حتى اضطروا الى اقفال الباب دون القادمين · وهذه هي المرة الاولى التي جرى مثل ذلك في قاعة المجمع · فاكد المسيو فلامريون في خطبته ان المريخ ماهول · وان تمدن سكانه ارقى من تمدننا · اولاً لان كل هيئته الخارجية تدل على ذلك وثانياً لان المريخ سابق ارضنا في الانفصال عن الشمس وكتلتها حين التكوين الاول · وبما انه سبقنا في الانفصال فالحياة وجدت فيه قبل وجود الحياة في ارضنا لان قشرته بردت قبل قشرة ارضنا · وبناءً عليه يكون قد انقضى على عمرانه وقت اطول من الوقت الذي انقضى علينا فعمرانه بالتالي ارقى من عمراننا

ولكنه قال انه لا يبعد ان يكون النور الذي رآه دوكلاس نور منعكس عن غيوم في جو المريخ لان المريخ اذا انحجب عنا فانه لا ينحجب ابداً بالغيوم التي في جوه وانما بالغيوم التي في جونا · وفي اثناء ذلك ارى فلامريون سامعيه بالنور الكهربائي على جدران القاعة مناظر من المناظر التي يذهبون الى وجودها في المريخ ومنها الاقنية الهندسية البديعة التي يرونها بالمكبرات والتي يقولون ان اهالي المريخ حفروها لصرف مياه الثلج الذائب اليها ولري مزروعاتهم رياً في غاية الاتقان منها

هذا مجمل ما وقفنا عليه من آراء العلماء في هذا الموضوع بعد كتابة ما تقدم في الصفحة ٥١٨ من هذا الجزء

تاريخ الاسبوعين

✻ عيد الجلوس الخديوي ومظاهرة وطنية كبرى ✻ احتفلت الامة المصرية في هذا العام بعيد الجلوس الخديوي احتفالاً لم يسبق له مثيل في مصر

واكبر مظاهرة كانت في الحفلات البهيجة التي حدثت في حديقة الازبكية والاوبره الخديوية مظاهرة اهداء وسام ذهبي الى سمو الامير الصغير محمد عبد المنعم ولي العهد . فقد تألف وفد من سكان مصر على اختلاف اجناسهم وفيهم الوطنيون والسوريون والاجانب والارمن تتقدمهم لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي ورفعوا الى الجناب العالي الوسام الذهبي الذي ضربوه ليكون الوسام الاول الذي يضعه شعب مصر على صدر ولي عهده . فقبل الجناب الخديوي هذا الوسام برسم نجله الكريم

وبالجملة فان الحفلات التي اقيمت في هذا العيد دليل ناصع على تعلق القلوب بحب الجناب الخديوي اعزه الله وازدياد الامة ميلاً الى سموه على ممر السنين والاعوام .

الحوادث الخارجية — كأن حرب الترنسفال عادت من اولها . فان البوير دخلوا الى مستعمرة الكاب واستثاروا بعض الهولانديين فيها فاعلنت حكومة الكاب الاحكام العرفية في كل الاقاليم وبعث اللورد كتشنر الذي خلف اللورد روبرتس في القيادة العامة يطلب مدداً جديداً ولا سيما من الفرسان فكثر الخوف في انكلترا من مصير هذه الحرب ولعل ذلك هو الامر الذي احزن جلالة الملكة فيكتوريا فاعتلت صحتها على اثره حتى توفاها الله الى رحمته كما سنفصل ذلك في الجزء القادم

✻ وفيات ✻ اتصل بنا والجامعة تحت الطبع خبر وفاة المغفور له السيد غفرئيل مطران بيروت ولبنان للروم الارثوذكس ووفاة شاب من اعزاء الجامعة ومحبيها في اسكلة طرابلس الشام وهو المأسوف عليه الشاب الاديب ميشل حكيم . فضاق نطاق المجلة عن بيان حزننا واسفنا لهاتين الفاجعتين

✻ تنبيه ✻ نوجه الانظار الى اعلان في ظهر المجلة عن يانصيب المشتركين في الجامعة

ثم طلب من المركيزان ينتظره في القاعة فذهب المركيز في سبيله فالتفت كاليوسترو الى جيلبار وقال له سألتني ماذا يحدث لهذا الرجل فهل تعرف ساحة «الاعتصاب» في المدينة · قال اعرفها · قال فاذهب اليها في ذلك اليوم الذي يشنقونه فيها

فدهش الدكتور لهذا الكلام · اما كاليوسترو فمدّ اليه يده مصافحاً ثم اراه كيف يضغط على الزر ليفتح الباب متى اراد الدخول الى القصر وبعد ذلك عاد الى حيث كان ينتظره ضيفه فخرج جيلبار غير مصدق ما سمعه ولكنه مبهوت وغائص في بحار الافكار

الفصل الرابع

﴿الملك في باريز﴾

وكان الملك في اثناء هذه الحوادث سائراً في موكبه مع الملكة الى باريز والشعب حوله يحمل على رؤوس الحراب قطعاً من الخبز عاد بها من فرساليا وذلك لقلة الخبز في باريز بسبب المجاعة

فاتفق ان ولي العهد الذي تحمله الملكة امه في المركبة قد جاع فطلب من امه كسرة خبز · فنظرت الملكة يميناً وشمالاً مفتشة عن الدكتور جيلبار لتطلب منه ان ياتيها بكسرة خبز لولدها · ولكن جيلبار كان في قصر كاليوسترو · فلما لم تجده الملكة سكتت ولم تطلب خبزاً من احد الرجال الذين كانوا امامها · اما الولد فلم يسكت بل اعاد طلبه الخبز من امه · فقالت له الملكة لا يوجد لدينا الآن خبز يابني فاشار الغلام الى الخبز الذي كان على رؤوس الحراب · فقالت له الام هذا الخبز لحامليه لا لنا وقد جاؤوا به من فرساليا اذ ليس لديهم خبز في باريز · فانتبه الولد وقال فهل كانوا يبيتون بلا أكل قبل ذهابهم الى فرساليا فاجابت الملكة ذلك ليس ببعيد لان الخبز قليل في باريز · فالوى ولي العهد راسه وتنهد شفقة عليهم ثم سكت عن طلب الخبز واغمض عينيه طلباً للنوم

فما احسن هذه العواطف من هذا الولد الصغير وما اتعس هذا الشهيد الذي مات بعد ذلك وهو يطلب خبزاً ليسدّ به رمقه

ثم استمر الموكب سائراً حتى وصلوا الى مدخل المدينة فوقفوا عند الحواجز للاحتفال بدخول الملك فرقصوا وانشدوا واطلقوا بنادقهم في الفضاء مرة واحدة اطلاقاً ارعب ولي العهد واخته الصغيرة فبكيا ونسيا من الخوف الخبز والجوع

وفي اثناء ذلك وقع نظر الملكة على خادمها و يبر النمساوي الذي جاء معها من النمسا فامرته ان يسبقها الى قصر التويلري و يعد لهم طعاماً ومكاناً للمبيت

وقد قالت له هذا القول باللغة الالمانية . وكان الملك يفهم الالمانية ولكنه لا يحسن النطق بها فاجابها باللغة الانكليزية . احسنت بهذا الامر ايتها السيدة

اما الشعب فانه سمع كلام الملك والملكة ولكنه لم يفهم شيئاً من اللغة الاجنبية فسخط واخذ يغضب على الملك والملكة

ثم ظلوا سائرين حتى وصلوا الى قصر المجلس البلدي فاستقبلهم بالي محافظ المدينة ورحب بالملك فاجابه الملك بقوله « انني كلما قدمت الى باريز قدمت اليها بسرور واثقاً بسكانها » غير ان الملك قال هذا القول بصوت ضعيف من التعب والكلل فاخذ بالي يعيده للشعب حتى يسمعه فاعاده ولكنه اهمل قول الملك « واثقاً بسكانها » ولم يقله للشعب فالتفتت الملكة اليه وقالت . نسيت كلمة ياحضرة المحافظ فان الملك لم يقل انه ياتي الى باريز بسرور فقط بل قال انه ياتي واثقاً بها و بسكانها ايضاً

فنظر اليها المحافظ ذلك الفلكي الذي كان يحسن القراءة في كواكب السماء ولا يعرف شيئاً من اصول القراءة في وجوه الناس ثم سكت . اما الملكة فانها صعدت الى العرش الذي نصبوه للملك في قصر المجلس البلدي وجلست عليه بجانب زوجها

وكان هذا العرش مكسوًّا بالمخمل والحرير ولكنه متقلقل متضعضع لوهن اجزائه وضعف تركيبه فكأنه عرش لويس السادس عشر الحقيقي

وفي الساعة العاشرة مساء اتم الملك زيارته القصر المجلس البلدي وقصد قصر التويلري للنزول فيه . فدخله هو والملكة ونجلاهما ومدام اليزابت والكونتس اندري

فوجد الملك كل شيء معدًّا في القصر ولاسيما طعامه فابتهج واثنى على و يبر لانه كان محباً للطعام كما تقدم ثم جلس الى المائدة واخذ ياكل متلذذاً

اما الملكة فانها علمت من نظرها الى المائدة انهم لم يضعوا صحفة للكونتس اندري اذ لا يجوز ان ياكل احد على مائدة الملك من غير اذنه فالتفتت الى الملك وسالته . الا تامر جلالتك بان يوضع على المائدة صحفة للكونتس اندري . فالتفت الملك مدهوشاً وقال . كيف لم يضعوا لها صحفة . نحن الآن نأكل كعائلة واحدة وهي من العائلة . ثم قال . ضعوا صحفة للكونتس

فالتفتت الكونتس الى الملك وقالت هل تامرني جلالتكم بالاكل امراً . فقال الملك

كلا لا آمرك امراً فقالت اندري فانا اذن غير قادرة على الاكل ياذا الجلال

ففتح الملك عينيه مدهوشاً من ان شخصاً يتعب طول النهار ثم يقول انه غير قابل للاكل وقال لها · كيف لا تاكلين ايتها الكونتس مع ما عانيته من التعب والسفر · فقالت الملكة وانا ايضاً لست جائعة · فقالت مدام اليزابت ولا انا ايضاً · فزادت دهشة الملك من اناس يتعبون طول النهار ولا ياكلون ثم قال اذا كانت الكونتس غير جائعة فلا ريب انها تعبة فاعدوا لها غرفتها · فقالت الكونتس يعدون لي غرفة · كلا فانني اعرف ان المكان ضيق وكرسي واحد يكفيني للنوم · فقال ويبر انهم لم يجدوا سوى غرفة واحدة خالية فاعدوها للكونتس دي شارني

غير ان ويبر لم يقل هذا القول حتى اهتزَّت له الملكة · ذلك لانها علمت انهم اذا كانوا لم يجدوا سوى غرفة فارغة للكونتس فان هذه الغرفة ستكون لها وللكونت زوجها · اما اندري فانها لم يفتها اهتزاز الملكة بل لم يكن يفت كلاً من هاتين المرأتين شيء من حركات وسكنات رفيقتها

وبعد هنيهة انحنت اندري باحترام امام الملك والملكة ومدام اليزابت ثم سارت الى غرفتها · ولما شبع ولي العهد واخته نهضت الملكة وسارت بهما لتنيمهما · اما مدام اليزابت فبقيت في خدمة الملك

وكانت الغرفة التي جعلوها لاندري محاذية لغرفة الملكة وغرفة ولديها فدخلت الملكة الى غرفتها وما استقربها المقام حتى غمضت عينا ولي العهد ونام فدخلت به امه الى فراشه والقته عليه بتأنٍ وهدوءٍ ثم نزعت ملابس ابنتها وانامتها

ولكن الابنة قبل ان تنام جثت بازاء سريرها واخذت تصلي بسكون وسكوت · ثم نهضت فسالتها الملكة ما لك ابطأت في صلاتك يا تريزه هذه المرة · فقالت الفتاة · رايت ان اخي نام من غير ان يصلي فقلت صلاتي ثم اردفتها بصلاته لكي لا ينقص شيء من المطالب التي نطلبها كل يوم من الله للملك ابي

الفصل الخامس

﴿ الشمعات الاربع ورمز مخيف ﴾

وبعد ان نامت الفتاة وضعت امها على جبينها قبلة خفيفة وغطت جسمها لئلا تؤثر فيه رطوبة هواء الليل ثم خرجت بهدوء من غرفة الولدين الى غرفتها

وكان يوجد في وسط هذه الغرفة مائدة عليها شمعدان فيه اربع شمعات موقدة . وهذا الشمعدان موضوع على بساط احمر شديد الاحمرار فجلست الملكة على كرسي بازاء هذه المائدة واخذت تفتكر باحوالها

فاستعادت في ذهنها حوادثها الماضية فرات انها ولدت في ٢ نوفمبر سنة ١٧٥٥ وهو اليوم الذي زلزلت فيه الارض في ليشبونه زلزالاً هائلاً قتل فيه اكثر من ٥٠ الف شخص وانهدمت فيه مائتا كنيسة

ثم ذكرت ان اول مكان نزلت فيه في فرنسا حين زيارتها ستر سبورج كان مكاناً مفروشاً ببساط عليه رسوم هائلة تمثل « مذابح الابرياء » وقد اكثرت في تلك الليلة من التامل في هذه الرسوم حتى خيل لها على النور الضئيل ان ما كانت تراه هو حقيقة لا رسم وان تلك الصور اشخاص تُقتل وتُسفك دماؤُها هدراً فصاحت مذعورة واستغاثت ثم سافرت من تلك الغرفة قبل طلوع الصباح

وذكرت ايضاً انها وهي قادمة من هذه المدينة الى باريز لقيت في قصر تافرناي كاليوسترو الرجل المخيف فاثر عليها تاثيراً هائلاً اذ اراها في زجاجة ماء آلة مخيفة تنثر الرؤُوس البشرية بسهولة عظيمة . فبقي في قلبها خوف هذا الرجل

ثم ذكرت انها لما وصلت الى فرساليا ووضعت قدمها على بلاط القصر الملوكي لمع الرعد في الفضاء عن يسارها لمعة هائلة اخافت الواقفين حولها وفي جملتهم المرشال دي ريشليه ثم انقضت صاعقة عظيمة فهز المرشال راسه وقال « ليست هذه العلامة علامة خير »

ذكرت الملكة كل ذلك وهي تنظر الى الديباجة الحمراء التي كانت تغطي المائدة التي عليها الشمعدان فاشتعلت تصوراتها وحسبت انها تنظر الى بركة من الدماء . واذا بها ترى على حين بغتة ان احدى الشمعات الاربع الموقدة في الشمعدان قد انطفأت من نفسها

ولم يكن يوجد في الغرفة مجرى هواء فعجبت الملكة من هذا الانطفاء ولكنها لم تبالِ به

فبقيت غائصة في تاملاتها وافكارها في هدوء ذلك الليل وسكونه

وكانت عيناها شاخصتين الى الغطاء الاحمر الذي كانت تراه كبركة من الدماء · وبعد هنيهة رأت نور احدى الشمعات الثلاث قد اخذ يضطرب فرفعت اليه راسها · فرأت الشمعة الثانية قد تراوح نورها وامتد ثم انطفأ ايضاً

فاقشعر جلد الملكة ولبثت شاخصة بالدخان الذي كان ينبعث منها · واخذت تتساءل ما الذي يطفئ هذه الشمعات · فتصورت ان هذه الشمعات الاربع تمثل الملك والملكة وولديهما · وكان هذا التصور قريباً من ذهنها في ذلك الزمان والشعب ثائر من كل جهة فجرى الدم بارداً في عروقها عند تصورها ذلك وانتفضت كما ينتفض عصفور بلله القطر · ولكنها ارادت ان تسكن بالها وتريح خاطرها فقالت في نفسها ان ما حدث قد حدث بالصدفة واي امر غريب في ان تنطفئ شمعتان بين اربع شمعات

على انها ما اتمت هذا التامل حتى دب المرض بالشمعة الثالثة وضعف نورها فذعرت الملكة هذه المرة وتراجعت وهي شاخصة الى الشمعة الضعيفة · فرأت ان نورها قد اخذ يستطيل ويندلع لسانه ثم يضعف ثم يستطيل ثم يضعف · وبعد ذلك تلاشي من نفسه وانطفأ

فنهضت الملكة حينئذٍ والخوف آخذ منها كل ماخذ وكادت تستغيث من الذعر والخوف · ولكن الشمعة الرابعة كانت لا تزال موقدة والنور مؤنس للوحشة فعادت وجلست وهي خافقة القلب مرتعدة الفرائص

وما كادت تستقر في كرسيها الا ونور الشمعة الرابعة قد انطفأ من نفسه على حين بغتة كأن جناح غراب الموت مسه فجأة فاطفأه · وصار ظلام في الغرفة

فصرخت عند ذلك الملكة من اعماق صدرها ثم حاولت النهوض فسقطت على الارض مغمى عليها

وما كاد يخرج صوت الملكة من صدرها حتى انفتح باب غرفة الكونتس اندري ودخلت منه الكونتس بثوب النوم فرات على النور المنبعث من باب غرفتها جثة الملكة مطروحة على ارض الغرفة فبادرت اليها فحملتها باحترام وتانٍ والقتها على سريرها · ثم تناولت من جيبها زجاجة فيها ارواح منعشة ووضعتها على انف الملكة · ثم كررت هذا العمل فافاقت الملكة بعد بضع دقائق وقالت وهي تجهل ما تقول — رحماكِ انقذيني

فاجابت الكونتس اندري · جلالتك في امن وسلامة ياسيدتي فلا تخشي شرًا

فكأن صوت اندري قد نبه الملكة الى نفسها فرفعت راسها ولما ابصرت الكونتس قالت لها بهدوء شكرًا لك ايتها الكونتس · لا تتعبي بالعناية بي · اذهبي الى غرفتك ونامي براحة

فعلمت اندري ان الملكة تامرها بالذهاب قطعيًا فنهضت وقالت انا ذاهبة ياسيدتي ولكنني لا انام بل ابقى ساهرة على راحة جلالتك

ثم خرجت تمشي بخطى ثقيلة هادئة كانها خطى التماثيل لو كانت التماثيل تمشي

الفصل السادس

﴿ سيباستيين جيلبار ﴾

وفي مساء اليوم الذي جرت فيه هذه الحادثة جرت حادثة اخرى في فيلله كوتريه اقلقت الخواطر في مدرسة الاب فورتيه · ذلك ان التلميذ سيباستيين ابن الدكتور جيلبار قد فقد من المدرسة

وقد فتشوا عنه في كل الضواحي وبحثوا في كل الاحراش فلم يجدوه فاستاء الاب فورتيه من هذا الامر لانه كان يعلم المسئولية التي عليه

اما سيباستيين فلفراره سبب لا بدّ من ذكره · وهو انه سمع الاب فورتيه في ذات يوم يحادث كاهن القرية بشان ثورة العامة وهجومهم على قصر فرساليا فابلغ الاب فورتيه الكاهن انه قد تالف حزب جديد من انصار الملكية لمقاومة الثورة وسيبرز هذا الحزب قريبًا ثم ابلغه تفاصيل حادثة فرساليا وذكر له عدد الجرحى والقتلى

فلما سمع سيباستيين ذلك وكان يسمعه اتفاقًا في زاوية والراهبان في شاغل عنه ثارت نفسه كلها واضطرب خوفًا من ان يكون ابوه قد قتل في جملة من قتلوا لانه كان لا يجهل مقامه في قصر الملك · فانتظر حتى جن الظلام فخرج سرًا من المدرسة وسار ركضًا الى قرية هرامونت

واذا ذكرنا هرامونت علمت انه سار لمشاهدة صاحبنا انج بيتو

الا ان الولد لم يجد بيتو في غرفته من سوء حظه فانتظره طويلاً فلم يات · فجلس حينئذٍ على مائدة هناك واخذ قلمًا ثم كتب الى بيتو كتابًا مطولاً اظهر له فيه تخاوفه وسبب عزمه على السفر الى باريز وبعد ذلك طوى الكتاب وتركه على المائدة ثم خرج من

الغرفة في نحو الساعة التاسعة مساءً وانطلق مسرعاً على طريق باريز

ولم يدخل الخوف قلب هذا الولد من سفره منفرداً وحده في ظلام الليل البهيم لان الذي يكون ابن جيلبار واندري يكون رجلاً وهو في سن الصبي

وانما كان سيباستيين مستوحشاً لانه كان يجهل الطريق المؤدية الى باريز . ومما زاد وحشته انه ما صرف ساعة في السير السريع حتى وصل الى ملتقى طريقين مختلفتين كل واحدة منهما تؤدي الى بلد . فحار في امره لانه كان يجهل ايتهما طريق باريز ولم يكن احد في الطريق ليساله فجلس حزيناً كئيباً على حجر هناك

ولم يستقر به الجلوس حتى سمع سيباستيين اصوات حوافر خيل على الطريق فنهض الولد بثبات جاش ناظراً الى جهة الصوت فما لبث ان بان له فارسان واحد منقدم والثاني متاخر فلما وصلا اليه برز لهما سيباستيين الى وسط الطريق فمد الفارس الاول في الحال يده الى مسدسه فبادره سيباستيين بهذا الكلام

— عفواً ياسيدي فانني لست لصاً وانما انا ولد قاصد باريز وقد تهت عن الطريق فهل لك ان تدلني اليها

وقد قال سيباستيين هذا القول برصانة وقوة اثرتا في نفس الرجل المخاطب . فادنى منه فرسه واجابه ما الذي اضلك يابني نحن قاصدون باريز مثلك فاسلك الطريق التي نسلكها

فاجاب سيباستيين شكراً لك ياسيدي وذهب في السبيل الذي دله الرجل عليه

ولكن لم يخطُ سيباستيين خطوتين حتى قال الفارس الثاني للاول — اما عرفت هذا الولد ياسيدي ايزيدور فانه سيباستيين ابن الدكتور جيلبار الذي كنا نشاهده احياناً مع كاترين . فاجاب الفارس الاول اصبت — اصبتَ وقد عرفته الآن ثم نادى . سيباستيين سيباستيين . فوقف الولد وعاد راجعاً وقال . نعم عرفتك يامسيو ايزيدور وانني اعيد لك شكري . فدنا ايزيدور منه وقال له وماذا انت ذاهب تصنع في باريز يابني . فاجاب الولد علمت ياسيدي ان الشعب هجم على قصر فرساليا وقتل بعض من فيه وقد خشيت على ابي فقصدت السفر الى باريز للتثبت من ذلك

فتنهد الفتى ايزيدور لما سمعه من ارتياب سيباستيين بقتل والده لانه هو كان يعلم ان اخاه قد قتل ولم يبقَ مجال للارتياب في مقتله . ثم قال — لسيباستيين . ولكن الطريق طويلة يا ولدي والوقت ظلام فهل لك ان تركب وراء خادمي على جواده

فاجاب سيباستيين جواب من جُرح في عزة نفسه شكرًا لك ياسيدي

فشعر ايزيدور بانه جرح كبرياء الولد فقال بل لدي خاطر آخر اقرب من الاول وهو انني احب رفقتك ومحادثتك على الطريق فاركب ورائي على فرسي ومتى وصلنا الى المحطة الاولى اخذنا مركبة وسرنا في طريقنا

فرضي سيباستيين بهذا الامر فاردفه ايزيدور وراءه ثم سار الجوادان بالثلاثة يخبان خببًا على طريق باريز

الفصل السابع

الخيال العجيب حقيقة مجسمة

وفي الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي وصل ايزيدور وسيباستيين الى قصر التويلري في المركبة التي استاجراها من دامارتين

فصعدا الى القصر ليسأل الواحد عن اخيه الكونت دي شارني والثاني عن ابيه الدكتور جيلبار

وكان لا فاييت يشدد حراسة الملك ولذلك كان النفوذ الى القصر امرًا صعبًا جدًا ولكنه كان سهلاً لايزيدور دي شارني اذ يكفي للاذن له بالدخول ان يذكر اسم عائلته

ولما صعد ايزيدور وسيباستيين الى القصر ادخلهما احد الحراس الى غرفة للانتظار فيها فجلس سيباستيين على مقعد هناك واخذ ايزيدور يخطر في الغرفة ذهابًا وايابًا

وبعد هنيهة قدم احد الحراس وابلغهما ان الكونت دي شارني في غرفة الملكة وان الملك مختلٍ باحد اطبائه فربما كان هذا الطبيب الدكتور جيلبار

فتنفس سيباستيين الصعداء لانه علم انه سيشاهد اباه سالمًا بعد حين

وبعد بضع دقائق دخل حارس ثانٍ وقال . اين الفيكونت دي شارني فاجاب ايزيدور هاءنذا . فقال الحارس ان جلالة الملكة قد امرت بان تذهب لمقابلة اخيك في غرفتها

فالتفت ايزيدور الى سيباستيين وساله ان ينتظره لانه سيعود بعد هنيهة ثم دخل وراء الحارس قاصدًا غرفة الملكة

فبقي سيباستيين وحده

والعادة انه اذا بقي سيباستين وحده تتراوح في دماغه جميع التصورات التي تصورها في

حياته وتعود اليه الخيالات التي علمنا امرها فيبقى ساعة او ساعتين مبهوتاً متاملاً غائصاً في بحار الافكار والخيالات . فحضرته هذه المرة الخيالات ايضاً فاستسلم اليها

فذكر رياض فيلله كوتريه واحراشها حيث كان يري الرؤى التي يرتاح اليها. ذكر تطوافه في ذلك الخلاء العظيم تحت ظل الاشجار الباسقة ينشد الخيال البخاري الذي ينقلب بعد ذلك جسماً بشرياً . ذكر تلك المراة التي ما فتئ يراها في احلامه ورؤياه ويركض وراءها في الاحراش ويدعوها امه

فارتاحت نفس سيباستيين الى هذه الذكرى فلبث مبهوتاً غائصاً في افكاره كالعادة وهو يقول مردداً بين شفتيه . اماه . اماه

ولكن لم يحضر في ذهنه خيال تلك المراة التي كان يراها في الاحراش تركض امامه وهو يركض وراءها وما ردد قوله اماه اماه مرتين بين شفتيه حتى انفتح باب تجاهه وظهرت فيه تلك المراة نفسها

الا ان هذه المراة كانت هذه المرة حقيقة لا خيالاً

اي انها كانت من لحم ودم لا من بخار دماغي او وهم تصوري

وكان سيباستيين حين انفتاح هذا الباب ينظر اليه من غير قصد ولذلك فان المراة لما ظهرت في الباب اول ما وقع نظره وقع عليها

فاجفل سيباستيين ونهض مذعوراً وقد دبت في عروقه روح جديدة فجعل ينظر الى تلك المراة وقلبه يخفق خفقاناً شديداً

اما هذه المراة فانها خرجت من الباب بعظمة تحاكي عظمة الملكات ثم سارت مسرعة بقامة هيفاء مستقيمة كالرنح او كالالف وبهيئة تجعل في النفوس تاثيراً لا يزيله شيء

وقد اجتازت القاعة دون ان تنظر الى سيباستيين او تعلم بوجوده

فازداد سيباستيين التهاباً وحرقة . ولما خرجت من الباب الخارجي ثارت نفسه كلها وخشي ان تفلت من يده مع انه قد قضى سنوات طوالاً وهو يبحث عنها ويتلهب للوصول اليها

ولذلك وثب من الغرفة مقتفياً آثارها

اما المراة فكانت منقبضة النفس حزينة . فلما سمعت صوت اقدام وراءها اسرعت في المسير فراراً منها

فلما اسرعت هال سيباستيين اسراعها خوف ذهابها منه فصاح بها . مدام . مدام

فلما وقع هذا الصوت في اذني المراة ارتعدت فرائصها وظهر التاثر على جسمها فازدادت اسراعاً

فوثب سيباستيين من سلم غير السلم التي كانت تنزلها وصار يركض وراءها . غير ان المراة ما لبثت هنيهة ان وصلت الى مركبة هناك ففتحت بابها والقت نفسها فيها

ولكن سيباستيين لم يدعها تستقر في المركبة حتى وصل اليها قبل ان تقفل بابها فدنا منها وهو يلهث من التعب وعيناه تقدحان شرر الذكاء في وجهه ثم اخذ ذيل ثوبها وجعل يقبله ويقول . آه ياسيدتي . آه ياسيدتي

فالقت المراة عند ذلك نظرها الى وجه هذا الفتى الجميل الذي اخافها صوته وجعلها تفر من وجهه ثم قالت له بصوت يبدو فيه التاثر

ماذا تريد مني ايها الفتى ولماذا تركض ورائي

فاجاب سيباستيين اريد مشاهدتك وتقبيلك . ثم قال بصوت ضعيف كمن يهمس همساً . اريد ان ادعوك « امي »

فارتعدت هنا فرائص المراة لهذه الكلمة فصاحت صيحة خفيفة ثم مدت يديها اليه كأن وحياً نزل عليها فتناولته وعانقته والصقت شفتيها المرتجفتين المضطربتين على جبهته الملتهبة

ثم انها ضمته الى صدرها بقوة كأنها خافت ان ياتي احد وياخذه منها وجذبته الى المركبة بحركة عنيفة وصاحت بالسائق

— الى منزلي في شارع كوك هيرون نمرو ٩

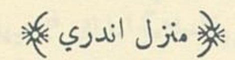
فراحت المركبة في الشوارع كالبرق الخاطف

اما المراة فانها التفتت الى فتاها وسالته وماء الحنو الوالدي يترقرق في عينيها . ما اسمك . فاجاب اسمي سيباستيين . فعانقته وقالت تعالَ تعالَ ياسيباستيين الى قلبي

ثم انها استلقت على المركبة استلقاء من يكاد يغمى عليها وضمت سيباستيين الى صدرها وجعلت تقول وراسها بازاء راسه : ما هذا الذي اشعر به الآن يارباه . اهذا ما يسمونه السعادة

وكانت هذه المراة هي الكونتس اندري زوجة الكونت دي شارني

الفصل الثامن



منزل اندري

راينا ان اندري سارت بسيباستيين الى منزلها في شارع كوك هيرون ولذلك سبب لا بد من ذكره · فانه جرت العادة ان تقيم نساء الملكة في القصر الملكي لا في منازل خاصة فكيف انتقلت اندري الى منزل خاص

سبب ذلك ان اندري كانت تشعر بان مقامها في قصر الملك بجانب الملكة اصبح ثقيلاً عليها لما بينها وبين الملكة من العواطف المختلفة بشان زوجها الكونت دي شارني الذي تقدم لنا القول انه زوجها بالاسم والاكليل فقط ولكنه في الحقيقة ليس زوجاً لها. فلما اغمي على الملكة في ليلة الشمعات الاربع وابعدتها الملكة عنها على الوجه الذي مرَّ ذكره زاد هذا الامر مقامها بجانب الملكة صعوبة على صعوبة فعزمت في تلك الليلة ان تترك قصر الملكة وتسكن وحدها

فلما طلع الصباح ارسلت احدى نسائها الى المنزل الذي ورثته من ابيها في شارع كوك هيرون وامرتها ان تعدَّه لتقيم فيه · ولما اتمت الخادمة ذلك دخلت اندري على الملكة وابلغتها رغبتها في المعيشة وحدها للاهتمام بصحتها فلم تلح الملكة ببقائها عندها الا الحاح من تريد ان لا يقال انها قصرت في استبقائها فودعت اندري الملكة وخرجت ثائرة النفس من لدنها · وفي خروجها لقيت سيباستيين في القاعة وجرى لها معه ما تقدم لنا تفصيله

فكأن سيباستيين قد جاءها في حينه لانها لولا انفصالها عن الملكة واعدادها منزلها لما كان لها ان تبقيه عندها

ولما وصلت مركبة اندري الى هذا المنزل كانت اندري قد شبعت من سيباستيين ضماً وتقبيلاً فوثبت الى الارض كالغزال النافر دون ان تنتظر السائق ليفتح لها باب المركبة ثم اخذت سيباستيين بيده ودخلت به المنزل مسرعة

وكانت تقول في نفسها وهي داخلة · لقد عاد ولدي اليَّ · لقد سُرق في ليلة مظلمة من هذا المنزل نفسه والآن يعود اليه نفسه · وهو يعود اليه باعجوبة سماوية دون ان يدلني احد عليه او يدله احد عليَّ

ولما اغلقت اندري باب منزلها استسلمت حينئذٍ الى عواطفها الوالدية فالتفتت الى سيباستيين وقلبها يقطر حنوًا وعيناها تترقرقان بالدمع وقالت له بصوت من لا يصدق ان ما يراه حقيقة لا خيال

اذًا هذا انت يا ولدي

ولم يكن سيباستيين باقل ارتياحًا الى مشاهدة هذه المراة التي يدعوها امه وتدعوه ولدها فاجابها باسمًا منشرحًا نعم يا اماه

ففعلت كلمة « اماه » التي لم تسمعها هذه المراة قط قبل الآن في نفسها فعل الكهربائية في الاجسام فاكبت على ولدها تضمه وتقبله وهي لا تصدق انه هو

ولما عاد اليها رشدها التفتت الى الغرفة التي كانت فيها وقالت وهي تهز راسها . هنا . هنا

فسالها سيباستيين ماذا تريدين يا اماه بقولك هنا . فاجابت اندري

اريد بقولي هنا انك كنت ههنا لما سرقوك مني منذ ١٥ سنة . لقد ولدتك في هذه الغرفة وسرقوك من هذه الغرفة والآن تعود الى هذه الغرفة باعجوبة سماوية

فقال سيباستيين . نعم باعجوبة سماوية يا اماه و بوحي سماوي . لانني لو لم اشعر بالخوف على حياة ابي لم اسافر من المدرسة ولم اقصد باريز ولم اصل الى مفترق الطريق في الظلام فابقى حائرًا عنده . ولو لم اصل الى هذه الطريق في الظلام لما وجدت المسيو ايزيدور دي شارني ولو لم اجده لما كان اردفني وراءه وجاء بي الى التويلري ولو لم اجئ الى التويلري لما رأيتك ولما رأيتني ابدًا

وكانت اندري تصغي اليه بارتياح شديد . ولكنه لما قال « لو لم اشعر بالخوف على حياة ابي » انقبضت نفس اندري وظهر على وجهها شعور غريب فاغمضت عينيها لتخفي انقباضها

ثم انبسطت نفسها لما قاله في آخر كلامه . وسالته علمت الآن كيف لقيتك ياسيباستيين فقل لي كيف عرفتني

فضحك سيباستيين واجاب هذا امر غريب يا امي لانني لا اعرف كيف حدث .

فقالت اندري ولكن من قال لك حينما رأيتني انني امك . فاجاب قال لي ذلك قلبي .

ففتحت اندري ذراعيها وضمته الى صدرها ضمًا شديدًا قائلة — تعالَ الى قلبي

ثم سالته . ولكن الم ترني قبل الآن ابدًا

فاستجمع سيباستيين قواه لدى هذا السؤال وقال اسمعي يا امي لاقص عليك امرًا

غريباً · فانني اعرفك منذ عشر سنوات

فدهشت اندري · وقالت كيف تعرفني منذ عشر سنوات ولم تأتِ اليَّ او لم تبلغني خبر وجودك · فقال سيباستيين · اسمعي لاخبرك كيف كنت اعرفك · انني ارى في بعض الاحيان اموراً عجيبة اسميها احلاماً اما ابي فيسميها مرضاً دماغياً

فلما لفظ سيباستيين كلمة « ابي » شعرت اندري كأن سهماً رُزَّ في قلبها

فاستانف سيباستيين الكلام قائلاً · وذلك انني كلما اصبحت منفرداً وحيداً في حرش او في مكان هادئ صرت اتامل تاملات غريبة وارى رؤى عجيبة فيتمثل لي في اول الامر شيء من البخار امام عيني ثم يكبر هذا البخار ويتجسم فيصبح امراة شبيهة بك في ملامحك · في قامتك ووجهك ويديك وكل ما لكِ · فحينئذٍ انهض مسرعاً من مكاني واركض وراء هذا الخيال الذي يكون امامي وهو يركض مني · وقد اقطع مسافات بعيدة راكضاً وانا اناديه يا امي يا امي وهو يركض مني ملتفتاً من حين الى حين اليَّ ولا ازال كذلك حتى اسقط على الارض من التعب والجهد فتزول حينئذٍ هذه الرؤيا · هذا سبب قولي لك انني اعرفك من عشر سنوات ذلك انني ارى هذه الرؤيا من عشر سنوات · ولما رايتك الآن في قصر التويلري حين خروجك من الباب الذي كان امامي عرفت انك انت هو الخيال الذي كنت اراه في احلامي واسميه امي · فلم يبقَ عندي ريب انك امي · ولكن كيف عرفتني انتِ

فقالت اندري انا كنت اقل سعادة منك يابني لانني ما كنت اراك لا في الحقيقة ولا في الخيال · ولكنني لما اجتزت القاعة التي كنت جالساً فيها شعرت دون ان اراك بقشعريرة عرتني · ولما سمعت وقع اقدامك ورأيي احسست بانفعال عظيم في نفسي ولما ناديتني « ياسيدتي » كدت اقف لك وحينما دعوتني « يا امي » كاد يغمى عليَّ · ولما لمستك عرفت انك ولدي

فمد سيباستيين يديه وعانق امه وقبلها ثم قال لها · قد اجتمعنا الآن فلا نفترق فيما بعد

وكانت اندري قد نست المستقبل فلم تنظر الا الى الماضي والحاضر فلما تكلم سيباستيين عن المستقبل عرتها قشعريرة واصبحت متاملة مبهوتة · ثم قالت متنهدة · انني اباركك يابني اذا كنتَ قادراً على ابقاء شملنا مجموعاً

فقال الولد نعم انا كفيل بذلك ولكن دعيني اصنع ما اريد · قالت ماذا تريد ان

تصنع قال مصالحتك مع ابي على شرط ان تقولي لي سبب افتراقكما

ولكن الولد ما لفظ هذا الكلام حتى اصبحت اندري صفراء كالاموات · ولما رأى سيباستيين انها بقيت ساكتة قال · على ان السبب مهما كان عظيماً فاني ازيله لان ابي يحبني ودموعي كفيلة بارضائه مهما كان غاضباً وساخطاً

فازداد اصفرار اندري وانقباض نفسها : فقالت كلا ثم كلا

فقال الولد اسمعي يا امي انني قادر على كل شيء فانا آخذك بيدي واذهب باكياً الى ابي الذي يعبدني كما قلت لك واقول له يا ابي هذه امي انظر ما اجملها والطفها فانا اريد ان تصالحها

فما لفظ سيباستيين هذا الكلام حتي وثبت اندري مذعورة ودفعت سيباستيين عنها. فنظر اليها الولد نظرة دهشة واستغراب فقالت اندري · كلا · ثم كلا · لا تحادثني عن هذا الامر

فذكر الولد حينئذٍ ما قاله له ابوه بنزق يوماً من الايام « ياسيباستيين لا تكلمني بعد الآن عن امك » فلبث الولد مبهوتاً لا يعرف لهذا اللغز حلاً · ولكنه سال امه بشيء من الرصانة وثبات الجاش لماذا لا تريدين ذلك

وكانت اندري حينئذ في اقصى درجات الغضب والهياج فاجابته تسالني لماذا لا ارد ذلك · لا لا · دع هذا لانك لا تعرف شيئاً

فاجاب الولد مصرّاً بل اريد ان اعرف لماذا لا تريدين

وكان الغضب قد طفح في صدر اندري فلم تعد قادرة علي كظم ما في نفسها فصاحت ملءَ فمها · تريد ان تعرف السبب فانا اقوله لك · انني لا اريد ان ارى اباك لانه رجل شقي تعيس لئيم

فوثب سيباستيين عن الكرسي وثبة السبع فاصبح تجاه امه وجهاً لوجه ثم صاح بها · اتقولين هذا القول عن ابي ايتها السيدة · عن ابي الدكتور جيلبار تقولين كذلك · عن ابي الذي رباني واعطاني كل شيء وجعلني اكون كما انا الآن · تقولين هذا القول · اذن انا مخطئ لانك لستِ امي

ثم هم الولد بالوثوب الى الباب للخروج منه · فاوقفته اندري متعلقة به وقالت له · اسمع اسمع ياسيباستيين · ان هذا امر لا تستطيع ان تفهمه · ولا تقدر على الحكم فيه

فانتفض الولد للتخلص من يديها وقال · دعيني دعيني فانني ما عدت احبك

فصاحت حينئذٍ اندريه عند هذا الكلام . ولكنها خنقت صياحها في فمها لصوت مركبة وقفت على باب منزلها

فاصغت اندري ناظرة الى جهة الباب واذا بالبواب قد دخل بعد هنيهة وقبعته في يده وقال لها ان حضرة الكونت دي شارني يطلب مقابلة الكونتس

فصعقت اندري لهذه الزيارة الفجائية فجذبت سيباستيين بعنف من يده الى غرفة نومها وقالت بسرعة ادخل ادخل ياولدي ولا تدع احد يراك او يعلم بوجودك . ادخل فساقص عليك كل شيء . لا لا . لا اقص عليك شيئاً لانك لا تفهم شيئاً من ذلك ولكني اقبلك واضمك الى صدري فتعلم انك ولدي

ثم تركته في الغرفة واقفلت الباب عليه وخرجت . وبعد ذلك جلست في كرسيها واهية القوى خائرة العزم من شدة التأثر والانفعال وامرت البواب بصوت اظهرت فيه الثبات الجاش ان يُدخل الكونت دي شارني زوجها

الفصل التاسع

﴿ الرجل وامرأته ﴾

و بعد دقيقة دخل الكونت دي شارني . وكان مرتدياً بالسواد حداداً على اخيه . ولكن الحداد لم يكن في ثيابه بل كان في وجهه ايضاً لما كان عليه من آثار الاصفرار والدموع

ولا شيء يزيد في جمال الوجه الجميل مثل الدموع والتاثير الذي تجعله فيه ولذلك كان وجه دي شارني في هذا اليوم في غاية الجمال

فنظرت اليه اندري من بعيد برصانة وثبات جاش . اما دي شارنى فدنا منها كما كان يدنو الرومان واليونان من تمثال ديانا الجميلة . فلما وقع نظره عليها اغمضت عينيها هنيهة ثم فتحتها فابصرت زوجها واقفاً لديها

وحينئذٍ دخل البواب وسأل هل يذهب السائق ام يبقى في انتظار حضرة الكونت

فنظر دي شارني الى اندري ليعلم من نظره اليها ماذا يجيب السائق . فراى نظر اندري مبهماً غامضاً فتنهد وقال للبواب . بل فلينتظر

فخرج البواب واغلق الباب فكانت هذه هي المرة الاولى التي وجد فيها هذان الرجلان منفردين وجهاً لوجه

فافتتح دي شارني الكلام بقوله · عفواً ياسيدتي اذا كدرت صفوك بزيارتي الآن فانني مامور بها من لدن جلالة الملك

فاجابت الكونتس بل يسرني ان اراك ايها الكونت وما كنت اتوقع زيارتك الآن لانني علمت انك عند الملكة

وقد لفظت الكونتس اسم الملكة ووجهت نظرها الى عينيه لتقرأ فيهما ماذا تحدثه هذه الكلمة في نفسه · ففهم دي شارني مرادها واجاب · يسرني ياسيدتي كل السرور ان تكوني افتكرت بي وسالت عني · اما زيارتي للملكة فلم تكن مرضية

فانتبهت اندري هنا كل الانتباه وفتحت عينيها ثم سالته كيف لم تكن زيارتك مرضية · قال لان الملكة امرتني بالابتعاد عن باريز وقد عصوت هذا الامر

فزادت دهشة اندري وقالت كنت انتظر ان تامرك الملكة بالاقامة بجانبها لا ان تامرك بالابتعاد عنها · وكيف استطعت ايها الكونت ان تعصي امر الملكة

ففهم دي شارني مراد زوجته بقولها « كيف استطعت » فتنهد واجاب ان الملكة ارادت ارسالي في مهمة الى تورين لمقابلة الكونت دارتوى والدوق دي بوربون اللذين برحا فرنسا فرفضت ذلك لانني اشد نفعاً في فرنسا مني في خارجها وقد اقترحت عليها ان ترسل مكاني اخي ايزيدور دي شارني الذي قدم اخيراً الى باريز فرفضت فحكمت الملك في هذا الامر فحكم لي

ولما كان الملك مجتمعاً بالملكة سالها عنك فاجابته انك خرجت من القصر فدهش الملك وسالها اين نزلت فاجابت انها لا تعلم فزادت دهشته وعلم انه حدث بين الملكة وبينك امر فامرني ان آتي اليك واطلب منك ان تذهبي لمقابلته · وقد قال لي انه لا بدَّ ان تذهبي اليه ولو اقتضى ذلك ان يحضر هو نفسه و يعود بك

فاطرقت اندري ثم اجابت شكراً للملك على تعطفه والتفاته فلا ريب انه ذو خلق كريم

فقال دي شارني نعم انه ذو خلق كريم · وقد ابكاني كرم نفسه في هذا الصباح فانه بعد ان امرني بالمجيء الى هنا لمقابلتك والعودة بك استوقفني حينما هممت بالذهاب ومدَّ اليَّ يده قائلاً · نسيت ان احادثك بالامر الذي كان يجب ان اجعله مقدمة الحديث وهو مصابك الذي البسك الحداد · ولكنه من سوء الحظ مصاب لا يجدي فيه كلام الناس وان كانوا ملوكاً · فانا لا سبيل لي الى تعزيتك عن وفاة اخيك الذي قام بواجباته